مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 758-796

أقوال المشركين في مناهضة الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم

م.د. زين العابدين عبدالحميد إسماعيل
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
التخصص العام : علوم القرآن ، التخصص الدقيق : تفسير
Zenilabden@uomustansiriyah.edu.iq
07731591922

مستخلص البحث :

لقد تصدّى المشركون لدعوة النبي (ﷺ) بأساليب شتى ووسائل متعدّدة هدفها صرف الناس عن سبيل الله وتشويه حقيقة الدين الإسلامي، ومن الوسائل التي لجأوا إليها : السخرية والاستهزاء، والطعن في شخص الرسول(ﷺ)، وإلصاق مختلف التهم به ؛ ليصرفوا الناس عن دعوته، ويضعفوا عزائم المؤمنين به. فاتهموه بالجنون تارة، وبالسحر تارة أخرى، وزعم بعضهم أنه شاعر يختلق ما يقول، غير أنهم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم مبهورين بقوة بيانه، عاجزين عن معارضته ، تهتزّ قلوبهم لصدق كلامه وإن أنكروه بألسنتهم ، وفي مطلع الدعوة لم يهتم زعماء قريش بها كثيرًا ، إذ لم يدركوا بعد مدى ما تشكله من تهديد لمصالحهم ، ولكن حين جاء القرآن يفضح باطل معتقداتهم ، ويكشف فساد تعظيمهم للأحجار واتخاذهم آلهة لا تنفع ولا تضر، خطرت لهم فكرة المساومة، فبدأت محاولاتهم تمرّ بمراحل متعددة ، وهي :

1-**مرحلة السعي الحثيث لاخماد الدعوة في مهدها:** بدأت قريش منذ اللحظة الأولى بمحاولة إطفاء نور الدعوة ومنعها من الامتداد في مجتمعهم فحاولوا إيقافها من أصلها قبل أن تستقر جذورها في القلوب. فتوجهوا إلى النبي (ﷺ) عارضين عليه المال والجاه والسلطة،لعلّه يترك ما جاء به وينصرف إلى ما يريدون ولمّا رأوا أن هذه المغريات لا تُحرّك فيه رغبة ولا تُضعف عزيمته،قصدوا عمَّه أبا طالب يرجونه أن يكفّ ابن أخيه عن دعوته،ظنًّا منهم أن الرابط العائلي قد يُثمر ما عجزت عنه المساومات،لكنهم فوجئوا بثبات النبي(ﷺ)وصلابة موقفه،وإصراره على تبليغ ما أمره الله به دون تردد،وازدادت دهشتهم حين وجدوا أبا طالب، برغم ما تعرض له من ضغوط، يرفض أن يتخلى عن نصرته، عندها أدركت قريش أن أسلوب الترغيب والتهديد لم يحقق لهم ما أرادوا ، وأن نور الدعوة أقوى من أن يُطفأ بهذه الوسائل ، فبدأت تبحث عن طريق آخر لمواجهة هذا المدِّ الجديد الذي أخذ يشقُّ طريقه بثبات في القلوب والعقول .

2- **مرحلة المهادنة المتبادلة وطلب التعايش دون صدام** : بعد فشل محاولات قريش لإيقاف الدعوة بالقوة والإغراء، لجأوا إلى أسلوب أخفّ حدّة، فاقترحوا المهادنة المتبادلة ، أي أن يكفّ كل طرف عن انتقاد معتقدات الآخر، ويترك المجال لأعماله ومصالحه دون تدخل. أرادوا بذلك أن تُقدَّم تنازلات تحفظ لهم مصالحهم، ويستمرون في حياة اجتماعية مستقرة دون مواجهة مباشرة مع الدعوة، لكن هذه المساومة لم تكن لتُقنع الحق أو تُغيّر من ثبات دعوة الإسلام، فهي رسالة سماوية لا تُهدأ بالسكوت ولا تُرضى بالرضوخ ومع ذلك ، حاول المشركون أن يظهروا نوعًا من التعايش السطحي ، ظنًّا منهم أنه قد يُضعف تأثير الدعوة في النفوس، غير أنهم وجدوا أن نور الحق يزداد إشراقًا مع كل محاولة لكبحه، وأن الدعوة ثابتة على نهجها، رافضة أي مساومة تُفقدها جوهر رسالتها.

3- **مرحلة المفاوضة على الشروط:** بعد فشل المحاولات المباشرة لإيقاف الدعوة، لجأت قريش إلى أسلوب أكثر دهاءً، وهو المفاوضة على الشروط، محاولة فرض قيود تضمن استمرار نفوذهم ومكانتهم وسط انتشار الدعوة، أرادوا أن تُقام الدعوة ولكن ضمن حدود يحددونها هم، بحيث يبقى لأصحاب المال والجاه امتيازات واضحة تميّزهم عن عامة الناس ، سعى المشركون بذلك إلى تحقيق

نوع من السيطرة الجزئية ، ظانين أن ذلك قد يُخفّف من تأثير الدعوة على المجتمع ، ويحدّ من انتشارها بحرية. لكن الله عز وجل أنزل النصر على المؤمنين بعد الشدة، وأزال عنهم كل قيود، وأظهر دينه، فأعلى شأنهم ، ونصرهم على أعدائهم، وأتمّ عليهم نعمته ودينه، فأثبتت الدعوة أن الحق لا يُقيد ولا يُحد بوسائل البشر .

الكلمات المفتاحية : المعارضة، المفاوضة ،الكذب ، الافتراء ،الكهانة ، المناهضة .

المقدمة

سبحان الله، نحمده رب العالمين،الذي أنار لنا سبيل الحق بالإسلام،وما كنا لندرك هدى الطريق لولا فضل الله وإرشاده،ذي القدرة والجلال والعزّ والسّلطان والطّول والامتنا منزل الفرقان ،والناسخ بما أودعه من البيان وتفصيل الحلال والحرام ما سَلَفَ من الشرائع والأحكام ،والضامن للرسول(عليه الصلاة و السلام) حفظه وحراسته من الناس أهل الكفر والبهتان ومطاعن ذي الجهل والشّنّآن،فقال جلّ ثناؤه:(إنا نحن نزلنا الذكروإنا له لحافظون) (الحجر :9)

وأشهد أن الله واحد لا شريك له ،المتفرد بالألوهية والقدرة الكاملة على جميع المخلوقات ، المستحق للعبادة وحده دون سواه ،وأشهد أن محمداً(ﷺ) عبده ورسوله ،خاتم الأنبياء وصفيّ الله من خلقه، أرسله بالهدى والرسالة السمحة ليبلغ دين الحق ويظهره فوق جميع الديانات ، محافظًا على رسالته رغم معارضة الكافرين ومكائدهم.

أما بعد ...

يتناول هذا البحث دراسة مواقف وأقوال المشركين في مواجهة الدعوة الإسلامية منذ انطلاقتها ، وذلك من خلال تتبع ما ورد في القرآن الكريم من أقوالهم

وحججهم وأساليبهم الواهية ، وعندما بدأ النبي (صلى الله عليه وسلم) دعوته إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، واجه مقاومة شديدة من مشركي قريش الذين

رأوا في هذه الدعوة تهديداً مباشراً لعقائدهم الوثنية ،ومكانتهم الاجتماعية ، ومصالحهم الاقتصادية المرتبطة بعبادة الأوثان والاصنام.

حيث يهدف البحث إلى ابراز طبيعة هذه الأقوال ومرتكزاتها الفكرية والاجتماعية والنفسية ، وتحليلها في سياق الرد القرآني عليها ، مما يكشف عن عمق

المواجهة بين الحق والباطل ، وسبل القرآن الكريم في تنفيذ شبهاتهم ودحض حججهم .

وقد اعتمدتُ في بحثي على المنهج الاستقرائي في جمع الآيات المتعلقة بأقوال المشركين ، وتصنيفها بحسب الموضوعات التي تناولتها مثل : اتهام النبي (صلى الله عليه وسلم) بالسحر والجنون ، إنكار البعث ، طلب المعجزات ،التمسك بالتقاليد القبلية ،كما سعوا لتشويه الرسالة نفسها من خلال وصف القرآن بأنه أساطير الأولين ، وغيرها من التهم والحجج التي ما انزل الله بها من سلطان ، ثم الوقوف على تلك الأقوال والرد عليها وفق السياق القرآني التي واجهتها .

وتعد هذه الدراسة مدخلاً مهماً لفهم لطبيعة التحديات التي واجهت الدعوة الاسلامية في بداياتها ، كما تبرز حكمة النبي (صلى الله عليه وسلم) وثباته في

مواجهة الرفض والمعارضة ، حيث تكشف لنا العوائق التاريخية التي ارادت ان تثبط دعوى الحق .

وفي الختام : نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا في هذا البحث،وأن يجعله سبباً في رفع فهمنا لآيات القرآن الكريم ،وأن يعم نفعه على المسلمين في سعيهم نحو

الرقي الروحي والأخلاقي ،وأن يجعل علمنا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الجميع ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث التمهيدي : التعريف بعنوان البحث .

أولاً : أقوال : لغة : القاف والواو واللام أصل واحد صحيح يقل كلمه، وهو القول من النطق، يقال: قال يقول قولا ، والمقول : اللسان ، ورجل قولة وقوال:
كثير القول.(ابن فارس،1399،مادة "قول" 1/ص42).

اصطلاحاً : هو اللفظ المركب في القضية الملفوظة، أو المفهوم المركب العقلي في القضية المعقولة.(الجرجاني،1403، 1/ص180)

ثانياً :المشركين : لغة : الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفرا ،والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما ،تقول : أشرك بالله فهو مشرك إذا جعل له شريكا،وفيه :فلان شارك فلان،اذ أصبح شريكه،وهي من المشاركة أي المناصفة،ومنه فلان اشرك فلان إذ جعله شريكا له،و في الحديث عن موسى(عليه السلام)عندما دعا الله في أن يشاركة هارون(عليه السلام) الأمر الجلل ،حيث وردت لفظ (اشركه) في القرآن الكريم من قول موسى (عليه السلام) : (واشركه في أمري)(طه :32)؛ أي : يا رب أجعل اخي هارون شريكا لي في الرسالة ، معيناً ومسانداً فيما كلفت به ، ومن الاستغاثة قولهم : اللهم أشركنا في ابتهال المؤمنين ، أي اجعل لنا نصيبا من دعائهم وقنوتهم في كل يوم يرفعون أيديهم في مناجاتك .(ابن فارس،1399، مادة "شرك" ،3/ص265)

اصطلاحاً : هو الكافر الذي اشرك مع الله إلها آخر ،أكان من أصحاب الكتب السماوية أو من دونهم .(السعدي،1408، 1/ص196)

ثالثاً : مناهضة : لغة : مصدر ناهَضَ،من الفعل ناهَضَ يناهض ، مُناهضة ،فهو مُناهض ،والمفعول مُناهَض،ناهَضَ الظلم والاستبداد: حَارَبَ ،قَاوَم، وَاجَهَ . (الجوهري،1407،مادة "نهض"،3/ص111،والزبيدي،1407، 19/ص99)

اصطلاحاً : موقف أو فعل يُعبر عن معارضة أو رفض لفكرة أو سلطة أو واقع معين ،بهدف تغييره أو مقاومته .

رابعاً : الدعوة : لغة : الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء،والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر. قال أبو عبيدة: يقال في النسب دعوة، وفي الطعام دعوة.(ابن فارس،1399،مادة "دعو" ،2/ص279)

اصطلاحاً : هو قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول (صلى الله عليه وسلم)والتأسي به قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان .

خامساً : الإسلام : لغة : من سلم ، السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ؛ ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل ، فالسلامة : أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى،قال أهل العلم : الله جل ثناؤه هو السلام : لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء،قال تعالى:(والله يدعو إلى دار السلام) (يونس :25) ، فالسلام الله جل ثناؤه ، وداره الجنة ،ومن الباب أيضا الإسلام، وهو الانقياد ؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع .(ابن فارس،1399،مادة "سلم" ،3/ص90)

الإسلام:هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على لسان عبده ورسوله محمد(صلى الله عليه وسلم)،ويقتضي الخضوع والانقياد لما أخبر به ولما بلغ عنه .

سادسا : القرآن: لغة : لفظ القرآن مشتق من القران جمع قرينة ؛ لأن آياته يشبه بعضها بعضاً ، فكان بعضها قرينة على بعض ، وواضح أن النون في (قرائن) أصلية ،وعلى أصح الآراء فإن لفظ (القرآن) مصدر على وزن غفران،بمعنى القراءة، ومنه قوله تعالى : (إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه). (القيامة :17-18)(السيوطي،1394، 1/ص87)

اصطلاحا : هو اللفظ العربي المعجز ، الموحى به إلى محمد (صلّى الله عليه وسلّم) بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.(الديب،1418،ص15)

المبحث الأول : خلفية تاريخية عن المشركين قبل الإسلام "حقبة ما قبل الإسلام" .

كانت فترة العرب قبل الإسلام تُعرف باسم "التاريخ الجاهلي" أو "تاريخ الجاهلية"، وذلك لما سادهم من حياة البداوة وغلبة طابع التنقل. وقد تأخروا عن غيرهم من الأمم في ميادين الحضارة والفنون والعلوم. وعاش معظمهم حياة القبائل الرحّالة، متنقلين بين البوادي بحثًا عن المعيشة، في جهل وانعزال، بعيدين عن العالم الخارجي، دون أن يكون لهم تواصل أو تأثير من ثقافات الأمم الأخرى، واعتمدوا على العادات القبلية والتقاليد المتوارثة ، حيث لم يمتد أثر العالم الخارجي إليهم ، فعاشوا أميّون عبدة أصنام، ليس لهم تاريخ حافل، لذلك عرفت تلك الحقبة التي سبقت الإسلام عندهم ب"الجاهلية".

و"الجاهلية" اصطلاح مستحدث، ظهر بظهور الإسلام ، وقد أطلق على حال قبل الإسلام تمييزًا وتفريقًا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور
الرسالة، على النحو الذي يحدث عندنا وعند غيرنا من الأمم من إطلاق تسميات جديدة للعهود القائمة ، والكيانات الموجودة بعد ظهور أحداث تزلزلها
وتتمكن منها، وذلك لتمييزها وتفريقها عن العهود التي قد تسميها أيضًا بتسميات جديدة ، وفي التسميات التي تطلق على العهود السابقة، ما يدل ضمنا على
شيء من الازدراء والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب الأحيان.(جواد، 1993، 1/ص37)

ومن الواضح أن النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقي لعرب الجاهلية هي حصيلة التفاعل بينهم وبين البيئة التي عاشوا فيها، فقد خضعوا
لشروط بيئتهم، وتكيفوا مع حياتهم الاجتماعية والظروف الطبيعية التي نشئوا فيها .

المطلب الأول : الحالة الاجتماعية :

لقد اتصفت ظروف المعيشة في شبه جزيرة العرب بالقسوة والإملاق، سماء شحيحة بالغيث، وأرض صحراوية قاحلة في أغلب أرجائها، فأوجبت هذه الظروف أن يكون الأساس في حياة العرب، وبخاصة عرب الشمال، البداوة. والبداوة تعني الحياة القبلية المتنقلة، إذ إن طبيعة البلاد الصحراوية تفرض على ساكنيها أن يعانوا حياة شاقة لا مجال فيها للقرار واستيطان الأرض. فالقبائل تتنقل مع إبلها ومواشيها وخيامها وأمتعتها المتواضعة من مكان إلى مكان، تتبع مساقط الغيث ومنابت الكلأ. فإذا نفد العشب من مكان قد ارتادته، تركته وجدَّت في البحث عن مكان آخر تجد فيه ما افتقدته.

وكان التشكيل الاجتماعي للسكان في مكة هو التشكيل القبلي شأنها في ذلك شأن باقي أجزاء الجزيرة العربية، وكانت القبيلة الأساسية بها منذ منتصف القرن الخامس الميلادي هي قبيلة قريش التي جمعها قصي بن كلاب، وأنزلها مكة بعد إجلائه خزاعة عنها، وككل تشكيل قبلي، كان سكان مكة يتكونون من حيث التشكيل الاجتماعي من طبقات ثلاث:

1- طبقة الصرحاء: وهم أبناء القبيلة الأصليون، أي كل من ينتمي إلى قريش، وهو فهر بن مالك؛ فإن البطون القرشية التي نزلت مكة كلها تنتمي إليه، ومن مجموعها تكونت القبيلة التي عرفت بهذا الاسم -قريش-. وقد جعل القرشيون من أنفسهم أصل المجتمع المكي، وكل مَن عداهم من العرب الأحرار انضم إليهم عن طريق التبعية بالحلف أو بالجوار، فهم أصل المجتمع في مكة ومن عداهم من باقي السكان إما موالٍ لهم أو عبيد .

2- طبقة الموالي: كانت مكة لحرمتها ووحدة أهلها واستقرار أمورها ملجأ لكثيرين من العائذين المحتمين بحرمها، كما كان في حياتها التجارية مجال لطلاب الكسب، ممن وجدوا في أسواقها

وقوافلها فرصة لاستثمار أموالهم في قوافل قريش والاتصال ببيوتها التجارية أو العمل في دوائر أعمالها1؛ ولذلك كثر الموالي في قريش عن طريق الجوار، أو من الحلفاء من كافة قبائل الجزيرة العربية ممن أقاموا في مكة إقامة دائمة وشاركوا في حياتها العامة مشاركة فعالة.

3- طبقة الأرقاء: كانت هذه الطبقة كبيرة العدد بمكة؛ نظرًا لأعمال أهل مكة التجارية الواسعة، وانشغالهم بها واحتياجهم إلى من يقوم على خدمتهم والاشتغال لصالحهم، سواء في التجارة أو في الرعي أو في الزراعة -حيث كانت لهم بساتين ومزروعات في الطائف- أو في الصناعة التي لا بد كانت موجودة في مكة لسد حاجة هذا المجتمع الذي أخذ بأسباب التحضر، ولما كان تجار مكة قد نالوا حظًّا وافرًا من الثروة، وعاش بعضهم عيشة رافهة بالنسبة لغيرهم من المجتمعات القبلية الأخرى في الجزيرة العربية .(يرجع سديو تاريخ بدء حكم قريش لمكة إلى سنة 440م،سديو، ص50)

و كانت في العرب أوساط متنوعة، تختلف أحوال بعضها عن بعض، فكانت علاقة الرجل مع أهله في الأشراف على درجة كبيرة من الرقي والتقدم، وكان لها من حرية الإرادة ونفاذ القول القسط الأوفر، وكانت محترمة مصونة تسل دونها السيوف، وتراق الدماء، وكان العرب معروفين بسمو مقامهم في الكرم والشجاعة ، وكانت المرأة تحظى بمكانة تجعل الخطاب موجهاً إليها في كثير من المواقف، وكان حضورها بارزاً في حياة القبيلة، وقد كانت قادرة على جمع الناس إذا رغبت في الصلح، وقد تتمكن أيضاً من إشعال نار الحرب إذا أرادت، وكان رأيها محل اعتبار عند العرب، ومع ذلك بقي الرجل يعد رئيس الأسرة بلا نزاع، وكان يمتلك سلطة اتخاذ القرار داخل البيت، وكان مسؤولاً عن تنظيم شؤون العائلة، وكانت المرأة تشارك بدورها في التأثير الاجتماعي، وكان حكمها يلقى قبولاً في العديد من المواقف، وكانت العلاقات الأسرية تضبطها الأعراف القبلية، وكان الزواج يتم وفق عقد يخضع لإشراف أولياء المرأة، وكان احترام مكانة الأسرة شرطاً في إتمام العقد، ولم يكن للمرأة أن تتجاوز رأي أوليائها في هذا الشأن، ولم يكن لها أن تستقلّ بإبرام الزواج دون إذنهم، وكانت الأعراف تعدّ المرجع الأول في تنظيم العلاقات، وكانت تحدد حقوق الرجل وحقوق المرأة، وكانت ترسم مسؤوليات كل طرف داخل الأسرة، وكان الرجل يحظى بالولاية المنزلية، وكانت المرأة تحظى بتأثير اجتماعي واسع، وكان التوازن بين دوريهما يحفظ استقرار القبيلة، وكان احترام الأعراف جزءاً من هوية العرب، وكانت المرأة رمزاً للحكمة والقوة في المواقف الكبرى، وكان الرجل رمزاً للقيادة داخل البيت، وكانت هذه الأدوار تمثل نظاماً اجتماعياً مستقراً، وكانت تحافظ على وحدة الأسرة، وكانت تؤكد مكانة المرأة بين قومها، وكانت تمنح الرجل دوره في إدارة شؤون بيته.(ابن حزم،1423،ص114-123) بينما كان الأشراف يعيشون على قدر من الانضباط والالتزام في علاقات الرجال بالنساء ، كانت توجد في الأوساط الأخرى صور من الاختلاط لا يمكن وصفها إلا بأنها دعارة ومجون وسفاح وفاحشة، وقد روت عائشة رضي الله عنها كما في حديث أبي داود أن للنكاح في الجاهلية أربعة أنواع، فكان أحدها يشبه نكاح الناس اليوم حيث يتقدم الرجل لولي المرأة فيدفع صداقها ثم يتزوجها، ونوع آخر يقوم فيه الرجل بأن يأمر زوجته إذا طهرت من حيضها أن تذهب إلى رجل معين ليواقعها طلبًا للاستفادة من كريم نسبه، ويظل زوجها ممتنعًا عنها حتى يتبين حملها من ذلك الرجل ، ثم يصيبها الزوج بعد ذلك إن شاء ، وكان هذا النوع يعرف بنكاح الاستبضاع ، ونوع ثالث يجتمع فيه رهط لا يتجاوز عددهم عشرة، فيدخلون جميعًا على المرأة ويواقعونها، فإذا حملت ووضعت حملها واستقرت أيامًا أرسلت إليهم، فيجتمعون عندها ولا يستطيع أحدهم التخلف ، فتخبرهم أنها ولدت طفلًا ، وتُلحقه بأحدهم فتختاره من بينهم وتقول : هو ابنك، فيُلحق به ولا يُرفض قولها، أما النوع الرابع فهو ما كان عند البغايا اللاتي يرفعن رايات على أبوابهن ليُعرفن، فيدخل عليهن من شاء من الرجال بلا امتناع ، فإذا حملت المرأة ووضعت دعا القوم القافة ليلحقوا الولد

بمن يرونه أقرب شبهًا له، فيتم نسبه إليه دون اعتراض، فلما بعث الله تعالى محمدًا (صلى الله عليه وسلم) ألغى جميع هذه الأنكحة الجاهلية، وأبقى فقط النكاح المشروع المعروف في الإسلام .

وكانت عند العرب في الجاهلية صور من الاجتماعات بين الرجال والنساء تُعقد في ميادين القتال حيث تلتقي السيوف والرماح، فكان المنتصر في حروب القبائل يستولي على نساء المهزومين فيستحلّهن، غير أن الأولاد الذين تولدهم هؤلاء النسوة كانوا يلازمهم العار طوال حياتهم. وكان من شائع عاداتهم أيضًا أن يعدد الرجل زوجاته دون حدّ يقف عنده، وأن يجمع بين الأختين في وقت واحد، كما كانوا يتزوجون زوجات آبائهم إذا طلّقوهن أو ماتوا عنهن، وقد جاء النهي الإلهي عن ذلك في قوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتًا وساء سبيلًا)(النساء :22) وكان الطلاق عندهم مفتوحًا بلا عدد معين ولا ضابط يحدّه، فيطلّق الرجل زوجته متى شاء ويعيدها متى شاء دون قيود أو تنظيم يحفظ حقوق المرأة أو الأسرة .(الأصبهاني،1412، 1/ص65)

وكانت فاحشة الزنا منتشرة في جميع أوساط الجاهلية ولا يمكن تمييز وسط دون آخر أو صنف دون صنف، إلا بعض الرجال والنساء الذين تعاظمت نفوسهم فأبوا الانغماس في هذه الرذيلة، وكانت الحرائر أفضل حالًا من الإماء، وكانت الطامة الكبرى تقع على الإماء، ويظهر أن الغالبية العظمى من أهل الجاهلية لم يشعروا بالخجل أو العار من الانتماء إلى هذه الفاحشة، فكانت جزءًا من حياتهم الاجتماعية والثقافية بشكل طبيعي تقريبًا.(جواد،1993، 1/ص38 وصفي الرحمن،1407،ص34)

أما تعامل الرجل مع أخيه وأبناء عمه وعشيرته فقد تميّز بالقوة والمودة فقد كانوا يحيون للعصبية القبلية ويموتون لها وكانت روح الاجتماع سائدة بين أفراد القبيلة الواحدة تزيدها العصبية وكان أساس النظام الاجتماعي مبنيًا على العصبية النسبية والرحم وكانوا يتبعون المثل القائل «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» على معناه الحرفي دون التعديل الذي جاء به الإسلام بأن ينصر الظالم لكفّ الظلم إلا أن التنافس على الشرف والمكانة كثيرا ما كان يفضي إلى حروب بين القبائل التي يجمعها أب واحد كما نرى ذلك بين الأوس والخزرج وعبس وذبيان وبكر وتغلب وغيرها أما العلاقة بين القبائل المختلفة فقد كانت مفككة الأواصر تماما وكانت قواهم منصرفة للحروب إلا أن الرهبة والخوف من بعض العادات والتقاليد المختلطة بين الدين والخرافة ربما خفّف من حدتها وفي بعض الأحيان كانت الموالاة والحلف والتبعية تؤدي إلى اجتماع القبائل المختلفة وكانت الأشهر الحرم رحمة وعونًا لهم على حياتهم وتحقيق معايشهم وقصارى القول أن الحالة الاجتماعية كانت في الحضيض من الضعف والجهل والخرافات لها سيادة والناس يعيشون كالأنعام والمرأة تباع وتشترى وتُعامل أحيانًا كالجمادات والعلاقات بين الأمة واهية ومقطوعة وما كان من حكومات فجل همتها ملء الخزائن من رعيتها أو شن الحروب على مناوئيها، وكان هذا النسق هو الإطار الذي عرفه العرب قبل الإسلام. (الشريف،1384، 1/ص189)

المطلب الثاني : الحالة الاقتصادية :

الوضع الاقتصادي للعرب كان مرآة للحالة الاجتماعية، ويتضح هذا الأمر بشكل جلي إذا نظرنا إلى طرق معايش العرب وأساليب حصولهم على ضروريات الحياة، فالتجارة كانت أهم وسيلة لتأمين الحوائج والاحتياجات اليومية، وكانت الجولة التجارية لا تتم إلا إذا ساد الأمن والاستقرار والسلام، وكان هذا الأمن مفقودًا في معظم أرجاء جزيرة العرب إلا في الأشهر الحرم، وكانت تلك الأشهر المباركة فرصة لتعقد أسواق العرب الشهيرة مثل سوق عكاظ وسوق ذي المجاز وسوق مجنة وغيرها من الأسواق التي اجتمعت فيها القبائل لشراء وبيع الحاجات ولتبادل السلع والمعلومات والأخبار. أما الصناعات فقد كان العرب أبعد الأمم عنها إلى حد كبير، فمعظم الصناعات التي عُرفت لديهم مثل الحياكة والدباغة وصناعة الجلود والخزف كانت محصورة في أهل اليمن والحيرة ومشارف الشام، أما داخل الجزيرة فكانوا يعتمدون على الزراعة البسيطة والحرث وامتلاك الأنعام من الإبل والبقر

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 758-796

والغنم، وكانت نساء العرب كافة يشتغلن بالغزل والصناعات اليدوية، لكن كل هذه الممتلكات كانت عرضة للمصادرة في الحروب والغزوات، وكان الفقر والجوع والعرى منتشرًا على نطاق واسع في المجتمع، بحيث لم يكن غالبية الناس يملكون إلا القليل من متاعهم أو قوت يومهم، وكانت الحياة صعبة للغاية، ولا يقوى الكثيرون على مواجهة ضيق العيش وقسوة الطبيعة والافتقار إلى الأمن والاستقرار، مما جعل الظروف الاقتصادية في الجزيرة متدهورة بشكل عام ومتأثرة بشكل مباشر بالحالة الاجتماعية المتأزمة. (جواد،1993، 13/ص17 وصفي الرحمن،1407،ص36)

المطلب الثالث : الحالة السياسية :

لم يكن للعرب قبل الإسلام دولة تجمعهم، بل كان المجتمع يتكون من عدد من القبائل المتناحرة، إذ كانت الحروب مستمرة فيما بينها لأسباب تافهة كالتسابق على موارد الماء وأماكن الرعي، والتنافس على الشرف والرئاسة، حيث يسود النِّظام القبلي بلاد العرب، ويكون ذلك بالانتساب إلى الآباء والأجداد؛ فالقبائل العربيّة لا تنتسب إلى المكان كما هو الحال عند العجم؛ لأنّ العربيّ من طبعه التّرحال، على خلاف بلاد العجم، والتي كانت تنتسب قبائلها إلى الأقاليم والبلدان والقرى والمدن، فالقبائل العربيّة ترجع في نسبها إلى الجدِّ الأوّل، فكانت عامّة بلاد العرب تنتسب إلى هذه القبائل، حتى في الأماكن الحضريّة، وفي المدن الكبيرة، وفي أماكن الاستقرار، فقد كانت اليمن مثالاً على النظام القبليّ بالرّغم من أنّ غالبيّة سكّانها من الحضر،إلّا أنّها كانت تسودها القبليّة على النّمط العربيّ، ناهيك عن القبائل البدويّة، والتي تُعدّ أكثر انسجاماً مع حياة القبيلة. والحاكم في القبيلة يكون أحد أفرادها، ويختاره رجال القبيلة لامتيازه ببعض الصِّفات الحسنة؛ كالجود والشّجاعة، وطلاقة اللسان، والمقدرة على القضاء، ويترتّب على تولّي شيخ القبيلة بعض الواجبات؛ كإكرام الضُّيوف، وحلّ مشاكل القبيلة، وتفقّد أحوالهم، كما يترتّب له بعض الحقوق، منها الحقوق الأدبيّة؛ كاحترامه، ومشاورته، وعدم مخالفة رأيه، وحقوق أخرى ماديّة؛ بحيث يأخذ ربع غنائم الغزو عند القسمة، ويأخذ قبل القسمة ما تُحبّه نفسه وتشتهيه، وهذا السّخاء على شيخ القبيلة يكون مقابل ما يترتب عليه من الواجبات الماديّة التي يجب عليه القيام بها .(صفي الرحمن،1407، ص26)

المطلب الرابع : الحالة الأخلاقية :

كان للعرب في جاهليتهم بعض الأخلاق المرذولة كالعنجهيّة، والعصبية، والظلم، وسفك الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا، وشرب الخمر، والسرقة، والزنا ، وكانوا يزاولون ألوانا من اللهو، واللعب، والمجون، والشطارة ، والميسر، إلى غير ذلك، ولكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان، ويفضي به إلى الدهشة والعجب، فمن تلك الأخلاق :

1-السخاء : كان العرب يتباهون بالكرم ويفتخرون به، وكان هذا الخلق متأصل في العرب، وكان الواحد منهم لا يكون عنده إلا فرسه، أو ناقته، فيأتيه الضيف، فيسارع الى ذبحها، أو نحرها له وكان بعضهم لا يكتفي بإطعام الانسان بل كان يطعم الوحش، والطير، وكرم حاتم الطائي سارت به الركبان، وضربت به الأمثال، وقد استهلكوا فيه نصف أشعارهم بين من يمتدح نفسه ويثني على غيره، وكان الرجل إذا جاءه الضيف في شدة البرد والجوع، ولم يكن عنده من المال إلا ناقته التي تمثل حياته وحياة أسرته، تأخذه روح الكرم فيقوم إليها ويذبحها لضيفه، ومن آثار كرمهم أنهم كانوا يتحملون الديات الهائلة والتكاليف المرهقة، لكفّ سفك الدماء وضياع الإنسان، وكانوا يمتدحون ذلك مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادة، وكان من نتائج كرمهم أيضًا أنهم كانوا يتمدحون شرب الخمور، ليس لأنها فخر في ذاتها، بل لأنها إحدى صور الكرم التي تتيح السخاء والسرف على النفس، ولهذا السبب كانوا يطلقون على شجر العنب اسم الكرم، وعلى خمره اسم بنت الكرم.

ومن نتائج كرمهم عملهم بالقمار ؛ أي القمار ، حيث كانوا يرون أنه سبيل من سبل الكرم ؛ لأنهم كانوا يطعمون المساكين ما ربحوه، أو ما كان يفضل عن سهام الرابحين، ولذلك ترى القرآن لا ينكر نفع الخمر والميسر وإنما يقول : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما).(البقرة:219)

2- الوفاء بالعهد : وهو من صفات العرب المشهورة كان العهد عندهم دينا يتمسكون به، ويستهينون في سبيله قتل أولادهم، وتخريب ديارهم. وقصة السموأل بن عادياء في الوفاء مشهورة، خير دليل على ذلك ، فقد ضحّى بابنه، ولم يقبل أن يخون العهد بتسليم الأدرع التي أودعت عنده، ومن أمثلة ذلك أيضا أنه لما ظفر الحارث بن عبّاد بقاتل ابنه، وهو المهلهل بن ربيعة في حرب البسوس، وهو لا يعرفه قال له: إذا دللتك على المهلهل تطلقني؟ قال له: نعم، فقال له: أنا مهلهل، فاكتفى بأن جزّ ناصيته وتركه، ولم يقبل أن يخلف وعده. حيث كانوا يأنفون من الكذب ويعيبونه، وكانوا أهل وفاء، ولهذا كانت الشهادة باللسان كافية للدخول في الإسلام، وقصة ابي سفيان مع هرقل لما سأله عن رسول الله(صلى الله عليه وسلم)وكانت الحروب بينهم قائمة قال:(لولا أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عليه)(البخاري،1370،كتاب بدء الوحي، برقم (7) ،1/ص5).

أما وفاؤهم فقد قال النعمان بن المنذر لكسرى في وفاء العرب: (وإن أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي وَلث وعقدة لايحلها إلا خروج نفسه، وإن أحدهم يرفع عوداً من الأرض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً عن داره، فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره، وأنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله)(أبو العبس،1400، 1/ص150). حيث أن الوفاء خلق متأصل بالعرب فجاء الاسلام ووجهه الوجهة السليمة فغلظ على من آوى محدثاً مهما كانت منزلته وقرابته.(يحيى إبراهيم،1418،ص90)

3- قوة البدن وعظمة النفس الكبرياء : واشتهروا بقوة اجسادهم مع عظمة النفس وقوة الروح، وإذا اجتمعت البطولة النفسية الى البطولة الجسمانية صنعتا العجائب، وهذا ما حدث بعد دخولهم في الإسلام، فلم يكونوا يسمعون كلمة تشمّ منها رائحة الذل أو الهوان إلا وهرعوا إلى السيف والرمح، وأثاروا الحروب العوان، وكانوا لا يبالون بتقديم أنفسهم تضحية في سبيل الدفاع عن شرفهم وكرامتهم.

4- القناعة والرضا باليسير : ومن أخلاق العرب القناعة، وهي الرضا باليسير، ولعل طبيعة البلاد هي التي فطرتهم على هذا، فقد كان الواحد منهم يسير الأيام مكتفيا بتمرات يقيم بها صلبه، ورشفات من ماء يرطب بها كبده، وقلة تكاليف الحياة جعلتهم يكتفون بالقليل.

5-الثبات والاستمرار في العزم: فالعرب إذا قرروا أمرًا يرون فيه المجد والاعتداد بالنفس لم يثنهم عنه شيء، بل كانوا يواجهون المخاطر بأنفسهم في سبيل تحقيقه.

6- العفو عند المقدرة : كان الواحد منهم ينازل خصمه، وقرنه، حتى إذا أمكنه الله منه، عفا عنه وتركه، بل كان يأبى أن يجهز على جريح.

7-الحكمة والصبر والتروّي : كانوا يمدحونها رغم أنها كانت في نفوسهم غالية الوجود، لما امتازوا به من شجاعة بالغة وسرعة اندفاع في خوض المعارك.

8- البساطة القبلية والبعد عن آفات الحضارة ومكائدها: كانت تؤدي إلى الصدق والأمانة، والابتعاد عن الخداع والغدر، فكان أهل البادية صادقين في معاملاتهم، وأمناء على أنفسهم وعلى غيرهم، ونفورهم من الغش والخيانة جعلهم محل احترام واعتداد بين الناس .(حسن البنا،1399، ص14، والصلابي،1421، ص300)

نلاحظ أن هذه الفضائل النبيلة التي تمتع بها العرب، مع ما حظيت به جزيرتهم من موقع استراتيجي مؤثر، كانت سببًا في اختيارهم لحمل رسالة الأمة وقيادة البشر، فهذه القيم وإن كان بعضها قد يجرّ شرًا إذا أسيء توجيهه، إلا أنها في أصلها ثمينة وتحقق مصالح المجتمع بعد تهذيبها، وقد جاء الإسلام فربّاها وقوّاها ووجّهها نحو الخير والحق. ولعل أعظم ما امتازوا به بعد الوفاء بالعهد هو الكرامة والمضي بعزم، إذ لا يُقمع الشر ولا يُقام العدل إلا بقوة الإرادة وسمو النفس. وكانت هذه الأخلاق رصيدًا ضخمًا في نفوسهم، فلما أشرق نور الإسلام اندفعوا من صحاريهم اندفاعًا أشبه بانطلاق الأطهار، يفتحون الأرض إيمانًا بعد أن غمرها الكفر، وعدلًا بعد أن أثقلها الجور، وخيرًا بعد أن طفحت شرًا، محققين سنّة الله في تمكين المستضعفين، ومعلنين أن سلامة الفطرة وحرية الضمير ورفعة الروح، هي الأساس الذي بُنيت عليه نهضتهم الفريدة بين الأمم.
(صفي الرحمن،1407، 37-38)

المبحث الثاني : أقوال المشركين في مناهضة الدعوة الإسلامية .

تعتبر أقوال المشركين في مناهضة الدعوة الاسلامية جزءا مهما من تاريخ الدعوة النبوية ، حيث تعكس هذه الأقوال مدى الصراع الفكري والديني الذي
خاضته الدعوة في بداياتها ، فقد واجه النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابة معارضة شديدة من قريش ومن مشركي مكة الذين رأوا في الإسلام تهديدا
لسلطانهم ومكانتهم الاجتماعية و الاقتصادية .
وقد تنوعت أساليب معارضة المشركون للدعوة الإسلامية ، بدءاً من السخرية والاستهزاء ، وصولاً إلى التحريض على العنف والاضطهاد ، وكان
بعضهم ينكر نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) ويصفه بالكذب ، بينما اتهم آخرون الدعوة بأنها خارجة عن تقاليدهم وأعرافهم الدينية ، كما حاولوا تشويه
صورة الإسلام من خلال ترويج الأكاذيب حول تعاليمه .
وبالرغم من هذه المعارضات ، ظل النبي (صلى الل عليه وسلم) وأتباعه صامدين في دعوتهم ، مؤكدين على قيم الإسلام من التوحيد والعدالة والمساواة ،
وكانت مواقف المشركين تمثل تحدياً كبيراً،ولكنها في الوقت ذاته كانت دافعاً لتأكيد حقائق الدين وتعميق الإيمان في قلوب المؤمنين، ومن أهم تلك الأمور :

المطلب الأول : اكالة الاتهام للنبي (صلى الله عليه وسلم) في شخصه الكريم .

أولا : الكهانة : اتهم مشركوا قريش الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالكهانة ، والمقصود بها هو الإخبار عن الغيب أو معرفة ما في الضمير، وقد كان هذا شائعًا قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان الكاهن يحصل على ذلك من الشياطين التي تتسلل لسماع الأخبار، أما بعد أن حرست السماء بالشهب عقب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد أصبح الكهان يتلقون المعلومات من أوليائهم من الجن، ويبلغونها للناس، فيتكون لدى الجهال الاعتقاد بأن هذه القدرة والعلوم نوع من الكرامة الخاصة لهذا الكاهن فيعتقدون فيه الولاية فيصدقونه بما يقول مما يضرهم في دينهم ودنياهم، قال تعالى : (ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكبرتم من الانس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) (الأنعام :128)،والمعنى على ثلاثة أقوال:أحدها: أن استمتاع الإنس بالجن: أنهم كانوا إذا سافروا، فنزلوا واديا، وأرادوا مبيتا، قال أحدهم: أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر أهله واستمتاع الجن بالإنس: أنهم كانوا يفخرون على قومهم ، ويقولون : قد سدنا الإنس حتى صاروا يعوذون بنا .
والثاني : أن استمتاع الجن بالإنس: طاعتهم لهم فيما يغرونهم به من الضلالة والكفر والمعاصي، واستمتاع الإنس بالجن : أن الجن زينت لهم الأمور التي يهوونها ، وشهوها إليهم حتى سهل عليهم

فعلها. والثالث : أن استمتاع الجن بالإنس : إغواؤهم إياهم، واستمتاع الإنس بالجن : ما يتلقون منهم من السحر والكهانة ونحو ذلك. والمراد بالجن في هذه الآية: الشياطين.
(ابن الجوزي،1423، 2/ص77)
والكهانة كما بينا هي عبارة عن اتّصال الإنسان بالجن ليتلقى منهم أنباء الماضين وأخبار اللّاحقين ومن خلالها يتمكّن من التنبّؤ بالمستقبل ، أو يعون معرفة
الغيب باستخدام طرق غير مشروعة، مثل الاستعانة بالجن أو الأرواح أو علامات أخرى، كانوا يعتبرون أنفسهم وسطاء بين البشر والآلهة أو الأرواح ويعتقد الناس أنهم قادرون على إخبارهم بالمستقبل أو حل مشاكلهم من خلال هذه الممارسات، والرسول(صلى الله عليه وسلم)كان بعيداً تماماً عن هذه الممارسات ، فالكاهن في الجاهلية كان يزعم أن له القدرة على معرفة الغيب من خلال قوى غير طبيعية، بينما النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يتلقى الوحي من الله مباشرة، وهو أمر مختلف تماماً ، فالوحي الذي نزل عليه كان واضحاً ومعجزاً، ولم يكن يعتمد على أي نوع من الخرافات أو الوسائل المظلمة مثل الكهانة ،وقد جاء القرآن الكرم ينفي ذلك عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)،حيث قال عزّ من قائل :(ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون) (الحاقة:42)، أي ان هذا القرآن كلام الله المعجز الذي أنزله الله على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من خلال الوحي ، وليس كما تدعون بأنه من أقوال الكهنة أو العرافين.(ابن عطية،1428، 5/ص362)
ثانياً : السحر : وهو قوّة نفسانيّة للساحر يقدر معها على إنجاز أمور خارقة للعادة مموّهة ، ومن تلك الأمور التفريق بين المرء وزوجته والوالد وولده بل
بين أفراد العائلة كافّة، فما فعلوه المشركين من اتهاماتهم وتزييفهم للحقيقة بان يصوروا النبي (صلى الله عليه وسلم) ، تارة بأنه ساحر وأخرى بإنه مسحور
وقد بين ذلك القرآن الكريم : (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا
لساحر مبين) (يونس : 35) وكان هذا الاتهام من أساليبهم في تشويه صورته وطمس دعوته في أذهان العامة ، رغم صدق رسالته وعظيم دعوته للخير و العدل ، وهذا دليل على تعنتهم وغياب الفهم لديهم .
لقد حار الوليد بن المغيرة(الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، المعروف بأبي عبد شمس، كان من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن أتباع الزنادقة. وقد لقب بـ"العدل" لأنه كان يمثل العدالة في قريش كلها، فبينما كانت قريش تكسو الكعبة جميعها، كان الوليد يكسوها بمفرده. وكان من الذين حرموا الخمر في الجاهلية، وقد ضرب ابنه هشام على تناولها، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير في السن، فعاكس دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقاومها ،الزركلي ،1377، 8/ص122) حين أرسله كفار قريش للتفاوض مع النبي محمد(صلى الله عليه وسلم)ومحاولة إغرائه بما يشاء مقابل أن يتخلى عن دعوته فقال له :يا ابن أخي، إن كنت ترغب في مال لجمعناه لك لتصبح أغنى الناس، وإن كنت تريد مكانة وجاهًا لجعلناك ملكًا، وإن كنت ترغب في زوجة نزوجك أجمل النساء، وإن كان ما يأتيك من الجن – أي من الخوارق – سنوفّر لك ما تريد لمعالجته. فرد النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: استمع يا أبا الوليد، ثم قرأ عليه فواتح سورة فصلت حتى وصل إلى قول الله تعالى:(فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)(فصلت:13) فأمسك الوليد بيد النبي على فمه خوفًا من الصاعقة، وقال: أسألك بالله وبالرحمة، ثم عاد وقد تغير موقفه تمامًا بعد سماع القرآن، وقال: والله يا قومي، إن كلامه له حلاوة، وإن فيه لطلاوة، وإن أعلاه مورق، وإن أسلفه مغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، والله ما هو بشعر ولا بنثر.

فلما قال الوليد بن المغيرة هذه الكلمات تأثر كفار قريش، فقالوا له : أصبأت يا أبا الوليد؟ ماذا يقول السفهاء إذا سمعوا كلامك؟ والله لن تقوم حتى تقول فيه قولًا يعكس موقفك، فكر قبل أن تتحدث. فقال: دعوني أفكر، فجلس وفكر، ثم تأمل، ثم قدم وأخر، حتى عبّر عن ما بدا له، ولعن كيف قدّر، وقال كما ذكر الله عنه في كتابه الكريم:(ذرني ومن خلقت وحيداً)(المدثر:11)،أي اتركني يا محمد، واترك ما يقوله هذا الرجل، وقد بين الله حاله في مواضع أخرى :(وجعلت له مالاً ممدوداً * وبنين شهوداً* ومهدت له تمهيداً*ثم يطمع أن أزيد *كلا إنه كان لآياتنا عنيداً)(المدثر:12-16)، فالآيات الواضحة والدلائل البينات التي سمعها أظهر منها العناد ، كما قال تعالى : (كلا إنه كان لآياتنا عنيداً) ، والجزاء على هذا العناد : (سأرهقه صعوداً)، والصعود هنا هو جبل في جهنم يُدعى صعود، وسيُكلف بصعود هذا الجبل عقوبة له ، وبعد ذلك ويصف الله موقفه قائلاً : (إنه فكر وقدر* فقتل كيف قدر*ثم قتل كيف قدر*ثم نظر* ثم عبس وبسر*ثم أدبر واستكبر* فقال إن هذا إلا سحر يؤثر*إن هذا إلا قول البشر) (المدثر:18-25)، و قال تعالى أيضًا عن عقوبته:(سأصليه سقر*وما أدراك ما سقر*لا تبقي ولاتذر* لواحة للبشر * عليها تسعة عشر).(المدثر:26-30)

وكان المشركون يستقبلون الركبان والقادمين إلى مكة ليحذروهم من أمر النبي (صلى الله عليه وسلم)، فكانوا يقولون عن النبي:إنه ساحر يفرق بين الرجل وولده، وبين الزوج وزوجته، ويثير الفتن بين الناس، ولكن هذه التحذيرات لم تكن تؤثر إلا في البسطاء المغفلين، أما العقلاء فقد كانوا يميزون بين الحقيقة والافتراء، ويقولون: نسمع منه ونعاين الأمر بأنفسنا.

ومن هؤلاء العقلاء الطفيل بن عمرو الدوسي(هو الطفيل بن عمرو الدوسي،صاحب النبي(صلى الله عليه وسلم) كان سيدا مطاعا من أشراف العرب ودوس بطن من الازد وكان الطفيل يلقب ذا النور أسلم قبل الهجرة بمكة ،الذهبي،1405، 1/ص344)،وهو من أشراف قومه ونبلاء عشيرته،رجل عظيم من بلاد زهران في منطقة دوس ، وقد دخل مكة وتلقاه المشركون عند أبوابها ، وقالوا له : ضع هذا القطن في أذنك ، فسأله الطفيل : لماذا؟ فأجابوه :هناك رجل عند الكعبة،إذا سمعته يسحرك ويوقعك في الفتن.

فاستجاب الطفيل ونفذ ما قيل له، فوضع القطن في أذنه وبدأ يطوف حول الكعبة، وإذا به يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ففكر وقال: حسنًا يا طفيل، أنت رجل عاقل ولبيب، أخرج القطن واسمع إن كان خيرًا. وعندما أخرج القطن واستمع إلى القرآن، شهد الطفيل الحق، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فكانت هذه القصة دليلًا على وعي العقلاء وتمييزهم بين الحق والباطل، وأن القرآن له أثره المباشر في قلوب من يسمعه بصدق وعقل راجح .(الذهبي،1407، 1/ص155-156)

ثالثاً : الجنون :ومفهومه غني عن البيان، فقد كانت تهمة شائعة تُلصق بالمصلحين من جانب خصومهم من غير فرق بين النبيّ وغيره ، وبين نبيّنا وسائر الأنبياء كما عرفت،وكان أسلوب إلقاء التهم على الشخصيات المصلحة واحدًا من أقدم وأخطر الوسائل التي يلجأ إليها الجاهلون والطامعون في التشويش على دعوات الخير، فهو سلاح نفسي فعال يهدف إلى تقويض السمعة وتشويه صورة الشخص في أعين الناس، وبالتالي إضعاف أثره الاجتماعي والدعوي ، وقد لجأ مشركو عصر الرسالة إلى هذا الأسلوب منذ بدايات الدعوة ، إذ لم تكن لديهم الفرصة لقتل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الاعتداء عليه جسديًا، فاختاروا استهداف شخصيته ومكانته بين الناس، ليزرعوا الشكوك في صدق دعوته ويقللوا من تأثيره على المجتمع.

إن نجاح أي مصلح في نشر دعوته يرتبط ارتباطًا وثيقًا باتصافه بالقداسة والطهارة ونقاء السريرة والعقلية الرزينة التي تميز بها عن غيره، فهذه السمات تجعله جديرًا بالثقة والاحترام، ويكسب دعوته قبول الناس وتقديرهم، فإذا شاب هذه السمات اتهام باطل أو تهمة ملفقة، ذهب جهده هباءً وضاعت مساعيه في نشر الحق والهدى، وأصبح تأثيره محدودًا، لذلك قامت قريش بشن حرب نفسية شرسة

ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حربًا بلا هوادة، مليئة بالحيل النفسية والافتراءات، تهدف إلى الحط من قيمته وكرامته، وإظهار دعوته في صورة أقل تأثيرًا، وإحباط الناس عن الانصياع لكلمته. وقد اعتمدوا في ذلك على نشر الشائعات، وترويج الأكاذيب، وتشويه سمعته بين أفراد القبيلة وبين القبائل الأخرى، وكل ذلك بغرض إحباط دعوته وإضعاف موقفه الاجتماعي، فكانت هذه الحرب النفسية إحدى أكثر الوسائل خبثًا ودهاءً التي استخدمها أعداؤه لإيقاف نجاحه ونفوذ كلمته ، وقد ذكر القرآن هذه الاتهامات في مواضع كثيره ، منها قوله عز وجل : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون* بل هم قوم طاغون) (الذاريات :52-53)

ولقد ردّ القرآن الكريم على هذه التهمة، رداً عنيفاً وشديداً ،جاء ذلك في كثير من الآيات البينات ، منها قوله تعالى : (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله

يستكبرون*ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون*بل جاء بالحق وصدق المرسلين) (الصافات :35-37)،وقوله تعالى : (مآ أنت بنعمة ربك بمجنون)(القلم : 2)(الرحيلي،1424،ص671-673)

قال الرازي(رحمه الله):(ومعناه أن تلك الصفة المحمودة إنما حصلت، والصفة المذمومة إنما زالت بواسطة إنعام الله ولطفه وإكرامه، و يريد بنعمة ربك عليك بالإيمان والنبوة، وهو جواب لقولهم:(يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون)(الحجر:6)،واعلم أنه تعالى وصفه هاهنا بثلاثة أنواع من الصفات ،الصفة الأولى:نفي الجنون، والثانية : أن لك يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أجرغير منقوص ولا مقطوع، الصفة الثالثة: الخلق العظيم الذي يتحلى به) .

(الرازي،1420، 30/ص600-601)

وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة، فوجودها ينافي حصول الجنون ، فنبه الله تعالى على هذه الدقيقة ، لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم

كاذبين في قولهم إنه مجنون. ومن هذا يتبين لنا أنّ القرآن الكريم قد ردّ هذه الفرية، وهذا الباطل رداً قاطعاً بما لا مزيد عليه.

رابعاً : الكذب والافتراء :ان اتهام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالكذب والافتراء، يعد من أشنع التهم التي وجهها أعداؤه في عصره، وقد كان هذا الاتهام بمثابة أحد أساليب الهجوم عليه من قبل من لم يؤمن برسالته .

والكذب هو إخبار بشيء مخالف للواقع عمداً ، أما الافتراء فيتجاوز الكذب ليشمل اختلاق أمور لم تحدث أصلا، أو تزوير الحقيقة بهدف التشويه والإضرار بالآخرين .(ابن منظور،1300،مادة "فرى"،15/ص154،والزبيدي،1407، 39/ص230،ومحمود عبدالرحمن،1999،ص244)

ولقد اتهم المشركون النبي (صلى الله عليه وسلم) بأنّه افترى على الله كذباً حين بلغهم أمر ربه تبارك وتعالى ، بأن يعبدوا الله وحده ، وأن الوحي ينزل عليه من عند الله تعالى، وجاء هذا الاتهام في آيات كثيرة منها : قوله تعالى : (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون)(النحل :101)،ويتبيّن من الآيات أن المشركين لم يجدوا حجة يواجهون بها دعوة النبي ﷺ سوى توجيه جملة من الاتهامات الباطلة، فزعموا أن القرآن مجرد افتراء وكذب اختلقه النبي من عند نفسه، وأن قوماً آخرين أعانوه عليه، وكرروا وصفه بالإفك والافتراء، وأن ما جاء به ليس وحياً من الله. وقد ردّ القرآن على هذه التهم بأنّها ظلم وزور، قال تعالى :(وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً)(الفرقان:4)، إذ لا تستند إلى دليل ولا تقوم على برهان، وإنما هي محاولة للتشويش على الدعوة وصرف الناس عنها، لأنهم أدركوا أثر القرآن في النفوس وعجزوا عن مجاراته أو الإتيان بمثله. كما أشار القرآن إلى أن ما يقوله الكفار من اتهامات لا يخرج عن كونه بهتاناً ناتجاً عن جحودهم بالآخرة، فهم يرفضون فكرة البعث والنشور، ويستغربون

أن يعود الإنسان خلقاً جديداً بعد تمزّقه وتفرّق أجزائه، ولذلك اتهموا النبي ﷺ مرة بأنه مفترٍ على الله، ومرة بأنه مجنون. ومع هذا كله يقرر القرآن الحقيقة الثابتة بأن ما جاء به النبي ﷺ هو الحق من عند الله، وأنه أنزل ليهدي قوماً لم يأتهم من قبل نذير قريب، ولينقذهم من الضلال. وهكذا يظهر أن اتهاماتهم لم تكن سوى محاولة يائسة لإبطال الحق، بينما كان القرآن يفضح زيف دعواهم ويبين أن ما قالوه لا يعدو كونه ظلماً وزوراً وبهتاناً .

وقد أوضح الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره أنّ جواب الله تعالى على تهمة المشركين بقوله: (فقد جاءوا ظلماً وزوراً) كافٍ في الردّ على شبهتهم، لأن كل عاقل يدرك أن النبي ﷺ قد تحدّى العرب بالقرآن، وهم أهل الفصاحة والبيان، وقد بلغوا في الحرص على إبطال دعوته أقصى ما يمكن، حتى انتهى بهم الأمر إلى اتهامه بما ورد في الآيات من الافتراء والكذب والجنون. ومع ذلك، فإنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بمثل القرآن، مع أن هذا الطريق لو كان ممكناً لكان أقرب لهم في إبطال دعوته من إطلاق تلك التهم، لأن معارضته بالبيان أيسر وأقوى حجة من الاتهام المجرد. ثم يبيّن الرازي أن النبي ﷺ لو كان قد استعان بغيره في صياغة القرآن كما زعموا، لكان بإمكانهم هم أيضاً أن يستعينوا بغيرهم، فمحمد ﷺ في معرفته باللغة وقدرته على الاستعانة لا يختلف عنهم، فتركهم لهذا الطريق مع شدّة رغبتهم في تكذيب دعوته دليل واضح على عجزهم وعلى أن القرآن بلغ الغاية في الفصاحة حتى صار معجزاً. ولما كان القرآن قد كرّر هذا التحدي في مواضع كثيرة وظهرت دلائل إعجازه مراراً، ثبت بذلك سقوط الشبهة التي أعادوها في هذه الآيات، ولم يبق لمثل هذا الادعاء إلا أن يكون استمراراً في الجهل والعناد، ولهذا جاء الردّ الإلهي المقتضب بكلمة جامعة: (فقد جاءوا ظلماً وزوراً).

ثم يضيف الرازي أنّ وصف كلامهم بالظلم والزور له وجهان: فهو ظلم لأنهم نسبوا أمراً قبيحاً إلى من هو بريء منه، فوضعوا القول في غير موضعه وهذا هو عين الظلم، وهو زور لأنه كذب صريح لا يستند إلى دليل ولا حقيقة. وبذلك يتبين أن تهمهم باطلة من أصلها، وأن إعجاز القرآن هو البرهان القاطع على بطلان ما زعموه .(الرازي،1420، 24/ص433)

والحقّ أن القرآن الكريم يحمل في ذاته الدليل القاطع على صدقه وصحة مصدره الإلهي، إذ تتوافق تعاليمه مع رسالات الأنبياء قبله في أصولها الكبرى، وجوهر عقيدتها، ومقاصدها، ومبادئها، وقد جاء هذا الكتاب الخاتم بزيادة إيضاح وتفصيل لما يتعلّق بالشرائع والعقائد والأحكام، فكان مكمِّلًا لما سبقه، ومبيّنًا للحق بغاية البيان .

وقد سلّى الله تعالى نبيه محمداً (ﷺ)بأن بيّن له أن تكذيب الرسل ليس أمراً مستحدثاً، وإنما هو شأن الأمم السابقة مع أنبيائها، إذ واجهوا دعوات الحق بالتكذيب والعناد كما يفعل المشركون اليوم. وبيّن سبحانه أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون افتراءً، بل هو مصدّق لما سبقه من الكتب السماوية، ومفصّل لما فيها من الهداية، وأن على المنكرين إن كانوا صادقين في دعواهم أن يأتوا بسورة من مثله ويستعينوا بمن شاؤوا، وهيهات لهم ذلك. وإنما كان تكذيبهم لأنهم جحدوا ما لم يحيطوا بعلمه، ولم يظهر لهم تأويله، شأنهم في ذلك شأن من كذّب الرسل من قبلهم، وقد رأى الناس كيف كانت عاقبة الظالمين الذين وقفوا موقفهم نفسه.، وإلى جانب الإعجاز البياني للقرآن وما تضمّنه من أخبار دقيقة عن الأمم السابقة، وهي أمور لم يكن النبي الأمي (ﷺ) على علم بها، وما أخبر به من غيوب تحقّق وقوعها، فإن إعجازه يظهر كذلك في شريعته الكاملة التي جاءت بأحكام سمحة، قائمة على العدل والحكمة وصيانة كرامة الإنسان، ومهيّأة لتكون صالحة لكل زمان ومكان. وكل ذلك يدل دلالة قاطعة على أن هذا الكتاب العظيم ليس من صنع بشر، وأن النبي الذي لم يقرأ ولم يكتب لا يمكن أن يأتي بمثله، وإنما هو وحي منزل من لدن حكيم حميد، وقد أنزله الله بالحق وجاء في أحسن بيان، وما أرسل الله نبيه إلا بشيراً ونذيراً للعالمين .

خامساً : التعلم من الغير :

ومن جملة ما نسبه المشركون إلى رسول الله(ﷺ)من الافتراءات، دعواهم أن القرآن الكريم ليس وحياً من عند الله ،وإنما هو كلام تعلّمه من بشر، وأنه اكتسبه إمّا أثناء رحلاته التجارية إلى الشام، أو من غلام أعجمي كان يعمل بين بطون قريش، أو من بعض من يُظَنّ بهم الاطلاع من أهل الكتاب، وقد واجه القرآن هذا الادعاء المكذوب ببيان واضح يدل على سفه قائليه؛ إذ إن الشخص الذي كانوا يشيرون إليه رجل أعجمي اللسان، لا يُحسن العربية، ولا يملك من أدوات البيان ما يمكّنه من صياغة جملة سليمة، فضلاً عن أن يكون قادراً على تعليم معاني القرآن العميقة، وأسراره البديعة، وبلاغته التي أعجزت فصحاء العرب.

وقد كان هذا الغلام الأعجمي يعمل عند الصفا، يبيع ويشتري، وربما جلس إليه النبي (ﷺ)مجالس عابرة، كما يجلس الناس إلى مختلف الناس في أسواق مكة، لا لتلقي العلم ولا لاكتساب لغة، وإنما مما تجري به العادة من المخالطة اليومية، وكان لسان الغلام لا يكاد يُفهم منه إلا عبارات قليلة، يجيب بها على قدر الحاجة، وهي أقصى ما يؤهله له ضعف لسانه بالعربية. فكيف يُعقل أن ينسب المشركون هذا القرآن العظيم، بما فيه من فصاحة مطلقة، ونظم معجز، وتشريعات محكمة، وقصص دقيقة، وأخبار غيبية صادقة، إلى رجل لا يملك من العربية ما يتيح له فهمها، فضلاً عن تعليمها؟ ، قال تعالى :(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين). (النحل :103) إنّ ادعاء المشركين هذا يتهاوى أمام أقل قدر من النظر العقلي ؛ إذ إن القرآن تجاوز حدود قدرة البشر، وتحدّى العرب كافة، وهم أهل اللسان والبلاغة، أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور، بل بسورة واحدة، فعجزوا عن ذلك، مع أنهم كانوا في أشد حالات الحرص على تكذيب النبي (ﷺ) وإبطال دعوته ، فلو كان بمقدور بشر أعجمي أن يزوّد محمداً ﷺ بهذا البيان، لكان بمقدور العرب الأقحاح أن يأتوا بما ينسف دعوة النبوة من أساسها ، ولكان أولى بهم أن يصنعوا مثل ذلك القرآن لو كان في طاقة البشر الإتيان به.

إن هذا الافتراء لم يكن إلا محاولة يائسة من المشركين لصرف الناس عن سماع القرآن، بعدما عجزوا عن مواجهته بالحجة والبيان، فلجؤوا إلى التشويه والافتراء، مع علمهم في قرارة أنفسهم أن القرآن فوق قدرات البشر، وأن النبي (ﷺ) لم يتعلمه من أحد، وإنما هو وحي محكم تنزّل عليه من لدن رب عليم حكيم، يشهد له أسلوبه ومعانيه وتشريعاته ودقة أخباره بأنه كلام الله حقاً لا ريب.(ابن كثير،1420، 2/ص636)

سادساً : الشعر : ومن جملة ما افتراه المشركون في مواجهة دعوة الحق ، ما نسبوه إلى رسول الله ﷺ من اتهام بكونه شاعراً، محاولين بذلك إلحاق القرآن بالشعر وصرف الناس عن سماع هدايته. وقد سجّل الله تعالى هذه الفرية في كتابه الكريم وردّ عليها بقوله جلّ شأنه: (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراع بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون)(الأنبياء :5)،وهكذا اضطربت أقوالهم وتنقلوا بين الاتهامات المتناقضة، فتارة يقولون: هو أضغاث أحلام، وتارة: افتراه، ثم يعودون فيزعمون أنه شاعر، وكل ذلك يصدر عن عجزهم عن مواجهة الحقيقة وانقطاع حجتهم أمام قوة الوحي.

والواقع أن أي منصف يقارن بين موضوعات القرآن الكريم وموضوعات الشعر العربي يدرك أن بينهما فرقاً بيّناً ومسافة واسعة لا تتقارب، فالقرآن منزّه عن الأغراض التي دار حولها الشعر الجاهلي من غزل ومدح وهجاء وفخر ووصف للديار والأطلال. بل إن القرآن جاء بأسلوب رباني متفرّد، قائم على الهداية والتشريع وإقامة الحجة وتقويم العقيدة وإصلاح النفس وتوجيه الإنسان نحو الصراط المستقيم. كما أن نظمه البديع لا يوافق أوزان الشعر ولا قوافيه، ولا يجري على سننه المعهودة، وإنما هو نسق إلهي مميّز يعجز البشر عن الإتيان بمثله، ويشهد أسلوبه ومعناه بأنه كلام رب العالمين لا

يشبه كلام الخلق ولا يرقى إليه قول شاعر أو ناثر، وأنّ القرآن الكريم قد خلا من أغراض الشعر من مدح وهجاء ، ونسيب ورثاء وغزل وغيرها من الأغراض التي يسبح فيها خيال الشاعر وتصوراته ، وفي المقابل نجد أن القرآن الكريم يحتوي على عقائد وشرائع وحكم وأخلاق، وحقائق تسمو بالإنسان عن الأغراض الجاهلية.(محمود عبدالرحمن،1999، 2/ص660)

وقد صور القرآن الكريم الشعر والشعراء في تلك الأغراض التافهة، التي لا تحمل عقيدة ولا ترشد إلى هدى، بالأحوال التي تخالف حال النبوة، وأن أتباع الشعراء هم الغاوون لا الراشدون، قال الله تعالى:(والشعراء يتبعهم الغاوون*ألم تر أنهم في كل واد يهيمون*وأنهم يقولون ما لا يفعلون).(الشعراء :224-226)

قال الطبري (رحمه الله) : (وهذا مثل ضربه الله لهم في افتتانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوماً ويهجون آخرين).(الطبري،1405، 19/ص78)

وقال الزمخشري (رحمه الله): (إنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم، وما هم عليه من الهجاء وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب، والنسيب بالحرم والغزل والابتهار(هو قول الكذب والحلف عليه، ابن منظور،1300، 4/ص83)، ومدح من لا يستحق المدح، ولا يستحسن ذلك منهم، ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون والسفهاء).(الزمخشري،1405، 3/ص363)

المطلب الثاني : السخرية من القرآن .

كان من أساليب المشركين في مناهضة الدعوة ،هو التقليل من شأن القرآن الكريم والحط منه بشتى الطرق، وقد زعم المشركون بأنّ القرآن الكريم إنّما هو أساطير من أساطير الأولين، جاء ذلك عنهم في آيات كثيرة ، منها : قال تعالى : (وقالوا اساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) (الفرقان :5) ، وقال عزّوجلّ:(إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين)(القلم : 15) ، والأساطير جمع أسطورة ، والاساطير:هي الأباطيل ، والأساطير: أحاديث لا نظام لها ،وسطّرها ألفها، وسطر علينا: أتانا بالأساطير (ابن منظور،1300،مادة"سطر"،4/ص363)

ذكر ابن الجوزي(رحمه الله) في سبب نزول قوله تعالى : ((ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين)(الأنعام :25) إنَّ جماعة من المشركين، منهم عتبة وشيبة، والنضر بن الحارث، وأمية بن خلف، اجتمعوا يومًا وجلسوا إلى رسول الله (ﷺ)، فاستمعوا لآياته وما يدعو إليه من التوحيد وترك عبادة الأصنام. وبينما كانوا منصتين، ظهرت على وجوههم علامات الحيرة والاضطراب، إذ لم يجدوا سبيلًا لردّ ما يسمعونه ولا لطعنٍ يقيمون به الحجة ؛فلما انصرفوا قال بعضهم للنضر بن الحارث: أخبرنا، ما الذي يقوله محمد (صلى الله عليه وسلم)؟ وما هذا الكلام الذي يتلوه؟ فقال النضر – محاولًا صرفهم عن التأثر بما سمعوه ، والذي جعلها بَنِيَّة، ما أدري ما يقول، إنما أرى شفتيه تتحركان، وما يأتي به إلا أساطير الأولين، وأحاديث تشبه ما كنت أحدثكم به عن أخبار الأمم السابقة والقرون الماضية.(ابن الجوزي،1423، 3/ص18) حيث كانوا يطلقون كلمة (الأساطير) يقصدون بها تلك الحكايات التي تمتلئ بالأحداث الخارقة، والمتصلة بآلهة الأمم الوثنية وأبطالها في القصص المتوارثة، وكانت أقرب هذه المعتقدات إليهم الأساطير الفارسية بما اشتملت عليه من عجائب وخرافات. ولذلك أرادوا الطعن في الوحي بقولهم: إن ما جئتَ به إنما هو أمثال ما يرويه الأولون، مأخوذ من كتبهم ومقتبس من أخبارهم، لا يختلف عن تلك القصص التي يعرفها الناس عن الأمم السابقة .(ابن كثير،1420، 2/ص138،وسيد قطب،1387، 3/ص177)

يذكر الفخر الرازي رحمه الله أن غرض المشركين من اتهامهم للنبي ﷺ بقولهم: «إن هذا إلا أساطير الأولين» هو الطعن في إعجاز القرآن. فكأنهم يقولون: إن ما يأتي به محمد ليس إلا نوعًا من الحكايات المسطورة والقصص المتداولة عند الأمم السابقة، وإنه لا يختلف عن الكتب القديمة التي تضمنت روايات الأولين وأخبار الأقدمين. وبناءً على هذا الزعم الباطل، أرادوا أن يثبتوا أن القرآن ليس معجزة ولا أمرًا خارقًا للعادة، لأنه – بزعمهم – مجرد كلام يشبه ما هو موجود في تلك الكتب القديمة.(الرازي،1420، 12/ص188) وعن مزاعم المشركين وادعاءاتهم الباطلة، يقول سيد قطب (رحمه الله): كانوا يعلمون تمام العلم أنّ هذا القرآن ليس بأساطير الأولين، ولكنهم مع ذلك يجادلون ويبحثون عن ذرائع للرد والتكذيب، ويتحسسون أهون الشبهات. وكانوا يسمعون في القرآن قصص الرسل وأقوامهم، وأخبار المكذبين الهالكين، فبدافع التكلّف وابتغاء أدنى الذرائع، زعموا عن القصص وعن القرآن كله: (إن هذا إلا أساطير الأولين) .(سيد قطب،1387، 3/ص177)

ذكر سيد رضا(رحمه الله) تعليقه عن موقف المشركين :(ذلك سلوك من ينظر إلى الأمور بعين سطحية دون إدراك جوهرها ،ولا يستدرك منه علما ولا برهاناً..وأنّ مثلهم في هذا كمثل الطفل الذي يشاهد ألعاب الصور المتحركة، يديرها قوم لا يعرف لغتهم، وكل حظه مما يرى من المناظر، ومن المكتوبات المفسرة لها، لا يعدو التسلية).(سيد رضا،1319، 7/ص348)

ومن اساليبهم الأخرى هو عدم الاستماع إلى القرآن و نشر الفوضى واللغط ، عندما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقرأ شيئاً من القرآن ، بين ذلك

القرآن في قوله تعالى: (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)،حيث استولى على قلوبهم الجحد والإنكار، ودام على العداوة فيهم

الإصرار فاحتالوا بكل وجه ، وتواصوا فيما بينهم بألا يستمعوا لهذا القرآن لأنه يغلب القلوب ، ويسلب العقول ، وكل من استمع إليه صبا إليه ، وقالوا : إذا

أخذ محمد(صلى الله عليه وسلم) في القرآن فأكثروا عند قراءته اللّغو واللغط حتى يقع في السهو والغلط ، ولم يعلموا أن الذي نوّر قلبه بالإيمان ، وأيّد بالفهم

وأمدّ بالنصرة، وكوشف بسماع السرّ من الغيب هو الذي يسمع ويؤمن ، والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الإيمان قلبه، ولا يباشر السماع سرّه .(القشيري،1445، 3/ص326)

المطلب الثالث : تحقير الدعوة الإسلامية .

منذ بداية الدعوة الإسلامية في أم القرى على يد الرسول محمد (عليه افضل الصلاة والسلام) ، واجهت هذه الدعوة تحقيراً واسعاً من قبل المشركين ، كان المشركون في مكة يرفضون الإسلام بشكل قاطع ويرونه تهديداً لسلطتهم الاجتماعية والسياسية والدينية ، تميزت محاولاتهم لتحقير الدعوة الإسلامية ، بأشكال متعددة مثل السخرية ، التحريف ،التشويه الإعلامي ، والتحريض المباشر ضد المسلمين .ومن حيلهم واساليبهم المتعجرفة ، أنهم قالوا لوكان تصديقكم محمداً (صلى الله عليه وسلم) على ما جاء به خيراً ،ما سبقتمونا إلى التصديق به ، وبين القرآن

هذا الحوار الدائر بين مشركي قريش والمؤمنون حيث قال تعالى : (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خير ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون

هذا إفك قديم).(الأحقاف : 11)(البغوي،1400، 4/ص194)

وفي بداية الدعوة،كان المشركون يعارضون الإسلام ليس بسبب محتواه،بل لأن الإسلام دعا إلى تغيير جذري في المعتقدات والممارسات التي كانت تشكل أساس حياتهم ، وكانت مكة مركزاً تجارياً ودينياً مهماً ، حيث كان الناس يأتون من كل مكان لزيارة الكعبة والحج للأصنام ، وكان المشركون في قريش يرون أن دعوة الإسلام تهدد هيمنتهم الاقتصادية والدينية ، لذلك اعتبروا النبي (صلى الله عليه وسلم) ودعوته تهديداً مباشراً لهم .

واستخدم المشركون السخرية والتشوية كأداة لمحاربة الدعوة ، كانوا يسخرون من النبي (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه ويصفونهم بالجهل والانحراف ،كما
كانوا يطلقون على المسلمين أسماء استهزائية، مثل "الوضعاء" و "المجانين " ، ويشككون في نزاهة الرسالة وصدقيتها، وفي بعض الأحيان اتهموا النبي (صلى الله عليه وسلم) باستخدام السحر و الخداع لإقناع الناس باتباعه ، هذا التشويه كان يهدف إلى زعزعة ثقة الناس في الإسلام ، لكن في الوقت ذاته كان يعكس حالة الارتباك والخوف التي شعر بها المشركون من هذا الدين الجديد .
ولم يتوقف الأمر عند السخرية فقط، بل لجأ المشركون أيضاً إلى تحريف الحقائق ونشر الشائعات حول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، كانوا يروجون لفكره أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يكن سوى رجل عادي يسعى وراء السلطة أو المال ، وأن المحاولات تهدف إلى تقليل مصداقية النبي (صلى الله عليه وسلم) في نظر الجمهور ،ومحاولة إقناعهم بأن الإسلام ليس سوى بدعة ومؤامرة . ومع مرور الوقت، واصل المشركون محاولاتهم لتحقير الدعوة الإسلامية باستخدام أساليب أكثر تطوراً ، مثل التحريض ضد المسلمين ، كانوا يحرضون الناس على الابتعاد عن الإسلام ، بل وعملوا على تهديد بالقتل أو التعذيب إذا استمروا في اتباع هذا الدين، وكان المسلمون يتعرضون في مكة إلى ألوان العذاب ، مثل التعذيب الجسدي ، وكان من أبرز مثال عليه، ما تعرض له الصحابي بلال بن رباح وعمار بن ياسر (رضي الله عنهم)،ورغم هذه المحاولات ،ظل المسلمون متمسكين بإيمانهم ،وكانوا ينشرون الدعوة في الخفاء ، ويستعدون للهجرة خارج مكة .
لم تقتصر محاولات المشركين على الجانب الفكري أو الاجتماعي، بل لجأوا أيضاً إلى وسائل اقتصادية للضغط على المسلمين ،فقد فرضوا عليهم حصاراً اقتصادياً من خلال منعهم من التجارة ،وكانت هذه المحاولات تهدف إلى دفع المسلمين إلى الاستسلام أو التراجع عن إيمانهم ، لكن المسلمين استمروا في مقاومتهم وصبرهم،بين ذلك قوله تعالى : (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون).(المنافقون : 7)
وبعد سنوات من الصراع ، تمكن المسلمون من دخول مكة مجدداً فاتحين منتصرين، بعد أن فشل المشركون في الوقوف أمام الدعوة الإسلامية ،فكان الفتح نقطة تحول في تاريخ الدعوة الإسلامية ، إذ تحققت الغلبة للمسلمين ، وبدأ الإسلام في الانتشار في انحاء شبة الجزيرة العربية .
أن أسلوب تحقير الدعوة الإسلامية من قبل المشركين كان واحداً من التحديات الكبرى التي واجهتها الدعوة منذ بدايتها، ورغم السخرية والتشوية، والتحريض
والضغط الاقتصادي ، فإن الدعوة الإسلامية استطاعت أن تنمو وتنتشر بفضل الله ورسوله(صلى الله عليه وسلم)وصبر المؤمنين وإيمانهم العميق برسالة الإسلام . (صفي الرحمن،1407، ص73-74)

المطلب الرابع : التكذيب بالبعث .

ان اعظم ما وقع فيه العرب في الجاهلية من الضلال هو تكذيبهم قدرة الله على بعث الموتى بعد أن اندثروا وتحول جسدهم إلى تراب، وبلغ بهم التكذيب حد العجب من رسول الله ﷺ حين يحدثهم عن البعث والنشور. فقد استغربوا كيف يعيد الله خلق الإنسان الذي تفكك جسده ومضى إلى الموت، ولم يدركوا أن الله القادر على كل شيء يستطيع إعادة كل ذرة من جسدهم إلى شكلها الأصلي، بما يحقق البعث الكامل ويجعلهم أحياء بعد أن كانوا في التراب، فهم أولئك الذين لا يؤمنون بالآخرة ويغفلون عن العذاب والجزاء، وهم في ضلال بعيد عن طريق الحق . وكان القرآن يعالج هذا الأمر بتعريفهم بقدرة الله الخالق ، التي لا تنتهي عند حد ،ولا يعجزها شيء في السماوات والأرض ، وأن الذي خلق الخلق أول مرة من العدم قادر على أن يعيد خلقه مرة أخرى ، ثم يريهم من آيات الأحياء حولهم ما يلفت نظرهم إلى عملية إخراج الحي من الميت معروضة أمامهم في كل لحظة، والذي يستطيع أن

يخرج الحي من الميت يستطيع حين يشاء أن يبعث الموتى ويردهم إلى الحياة، حيث عرضت في بداية سورة "ق"(ق:1-15) بذكر القرآن المنزل من الله على رسوله الكريم (عليه افضل الصلاة والتسليم) ، وبشكل بارز عالجت مشكلة إنكار البعث والنشور عند المشركين في الجاهلية، وتوضح مدى جهلهم وكفرهم بقدرة الله على إعادة الخلق بعد الموت. فالمشركون كانوا يعجبون ويستغربون حين يأتيهم الرسول ﷺ بالإنذار بالبعث يوم القيامة، إذ لم يصدقوا أن الموتى الذين تحللوا وتحولوا إلى تراب يمكن أن يُبعثوا من جديد. ويصف القرآن حالهم قائلاً: إنهم ينكرون ذلك ويعتبرونه شيئًا بعيدًا عن الحقيقة، مع أنهم يعلمون يقينًا أن الله هو الخالق القادر على كل شيء، لكن الغرور والجهل وحب الدنيا أعماهم عن إدراك الحقائق. حيث بينت أن هؤلاء الكافرين لم يتأملوا الآيات الكونية حولهم ، مثل السماء المزخرفة بالنجوم ، والأرض الممتدة المليئة بالجبال والأنهار ، والنباتات المزدهرة التي تنبت من الأرض بعد أن كانت ميتة. فالآيات كلها تشهد على قدرة الله المطلقة على الخلق والبعث، ومع ذلك ظلوا في إنكارهم، معتبرين أن البعث بعد الموت شيء مستحيل، ولا يمكن أن يكون إلا وهمًا وخرافة.كما ذكرت نماذج من الأقوام السابقة الذين كذبوا الرسل مثل نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وقوم الأيكة وقوم تبع ، مؤكدة أن تكذيب الرسل ليس جديدًا على هذا الجيل من المشركين، وأن الذين يكذبون بالبعث يكررون خطأ الأمم السابقة. فالقرآن يربط بين إنكار البعث وعدم الإيمان بالجزاء وبين الغباء والغرور في فهم القدرة الإلهية على الخلق بعد الموت ، ويؤكد أن هؤلاء الكافرين سيبقون في لبس من خلق جديد، أي في جهل مستمر وعدم إدراك حقيقة البعث، رغم مشاهدتهم للخلق الأصلي وعجائب الكون من حولهم. وتشير الآيات أيضًا إلى أن البعث ليس مجرد فكرة، بل هو حقيقة مؤكدة، كما يظهر في قدرة الله على إنبات الأرض بعد موتها بالمطر، وإحياء المدن الميتة، ورزق الخلق من النخل والجنات والحبوب، وكلها دلائل على أن إعادة خلق البشر بعد الموت ليست معجزة مستحيلة، بل أمر يسير على الله القادر الخلاق ، وان موقف المشركين من البعث كإنكار متجذر بالجهل والتكبر، وتستخدم الأمثلة الكونية والتاريخية لتأكيد قدرة الله على إعادة الحياة بعد الموت، ولتبيان أن هذا الإنكار ليس إلا نتيجة عناد وغفلة عن الحقائق العلمية والكونية التي تدل على قدرة الله المطلقة ،حيث عرضت الآيات مجالات القدرة الإلهية المعجزة التي تخلق وتحيي الموات، فيبدو إنكار البعث بعدها تفاهة في الفكر وسخافة في العقل ، لا تصدر عن إنسان سوي التفكير .ويختم السياق بهذا السؤال الإنكاري الذي يقرر الحقيقة :(أفعيينا بالخلق الأول)؟ لقد خلق الله الكون كله من قبل، وها هم أولاء يرون الكون متماسكا أمامهم
مما يدل على عظمة الخالق وقدرته ، فعلى أي أساس يشكون في قدرته على البعث ؟! .(محمد قطب،1418،ص71-73)

المبحث الثالث : استراتيجيات المشركين في معارضة الدعوة الإسلامية .

المطلب الأول : التحريض على قتل النبي (صلى الله عليه وسلم).

يصور المولى سبحانه وتعالى ما حدث في دار الندوة ،من تآمرعلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ،حيث اجتمع طواغيت مكة ليروا في النبي (صلى الله عليه
وسلم) رأياً ،يقول سبحانه وتعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (الأنفال :30) لما لاحظ المشركون تجهيز أصحاب رسول الله ﷺ لمغادرتهم، أخذوا الأطفال والذرية وممتلكاتهم، متوجهين نحو قبائل الأوس والخزرج، استعدادًا للرحيل عن المكان ،وقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان ، وأخذ القلق يساورهم بشكل لم يسبق له مثيل ، فقد تجسد أمامهم الخطر الحقيقي العظيم الذي أخذ يهدد كيانهم الوثني والاقتصادي،فقد كانوا يعلمون ما في شخصية رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من الغاية في قوة

التأثير مع كمال القيادة والإرشاد ، وما في أصحابه من العزيمة والاستقامة والفداء في سبيله ، ثم ما في قبائل الأوس والخزرج من قوة ومنعه ، وما في عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم والصلاح والتداعي إلى نبذ الأحقاد فيما بينهما بعد أن ذاقوا مرارة الحروب الأهلية طيلة أعوام من الدهر، كما كانوا يعرفون ما بالمدينة من الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى الرحلة التجارية التي تمر بساحل البحر الأحمر من اليمن إلى الشام ، ومعلوم أن مدار هذه التجارة كان على استقرار الأمن في تلك الطريق ، فلا يخفى ما كان لقريش من الخطر البالغ في تمركز الدعوة الإسلامية في يثرب ومجابهة أهلها ضدهم،شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد هو حامل اللواء محمد (صلى الله عليه وسلم) ، حيث عقد برلمان مكة "دار الندوة " في أوائل النهار أخطر اجتماع له في تاريخه ،وتوافد إلى هذا الاجتماع جميع نواب القبائل القرشية،ليتدارسون خطة حاسمة تكفل القضاء سريعاً على حامل لواء الدعوة الإسلامية ، وتقطع تيار نورها عن الوجود نهائياً . (ابن الجوزي،1410، 3/ص48-49)

ولما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بتله، ووقف على الباب، فقالوا : من الشيخ ؟ ، قال شيخ من أهل نجد سمع

الذي أعددتم له ، فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً ونصحاً ، قالوا : أجل ، فادخل معهم .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان أمره ما قد كان وما قد رأيتم وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا قال

فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من

هذا الفناء والاندثار حتى يقع به ما وقع بهم ، فأشار الشيخ النجدي بحكمة: (لا والله، ما تخططون له لن يجديكم نفعًا، ولو حاولتم حبسه أو منعه، لخرج أمره من بين أيديكم بطريقة لا تتصورونها، ويلحق بأصحابه، وسيتكاثرون حتى يغلبوكم على أمركم. هذا رأيي الصريح، ففكروا في خيارات أخرى، وتشاوروا فيما بينكم)،أحدهم قال:(لنخرجه من بين أظهرنا وننفيه عن بلدنا، فإذا غاب عنّا، فوالله لا نبالي إلى أين ذهب أو أين وصل، وعندها نعود إلى حياتنا ونصلح شأننا كما كان).

فرد الشيخ النجدي بصوت ملؤه الوقار : (لا ،هذا الرأي ليس صائبًا أبداً. ألم تروا جمال حديثه، وحلاوة كلامه ، وقوة أثره على قلوب الرجال بما يقول؟ لو فعلتم ذلك، فلن تتمكنوا من حماية أحد من العرب من تأثيره، وسيتبعونه أينما ذهب، وسيسيرون معه حتى يصل إليكم، فيأخذ أمركم من أيديكم ويفعل بكم ما يشاء. عليكم أن تبحثوا عن حل آخر أكثر حكمة)،فأجاب أبو جهل بن هشام بتحدٍّ: والله، لي رأيٌ في هذا الشأن، وإن لم تفعلوه الآن، سترونه فيما بعد ،سألوه: (وما هو يا أبا الحكم؟) قال: (نأخذ من كل قبيلة شابًا قويًا، متينًا ونسيبًا، ونعطي كل واحد منهم سيفًا صارمًا، ثم يوجهون جميعًا ضربة واحدة إليه لتقتله، فتتفرّق دماؤه بين القبائل، ولا يقدر بنو عبد مناف على مواجهتهم جميعًا. عندها نستريح، وتعود الأمور إلى حالها الطبيعي). وافق القوم على رأيه، فقال الشيخ النجدي بحسم: "هذا هو الرأي الصائب، لا رأي لكم غيره." فتفرق الجميع وهم متفقون على تنفيذه، وفي تلك الليلة، جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ وقال له: (لا تبت هذه الليلة على فراشك المعتاد، فالله قد حماك من مؤامرتهم، وأبعد عنك مكائدهم). وحينما حانت عتمة غسق الليل اصطفوا أمام داره، يرصدونه في وقت نومه ليهاجموه ،فلما لاحظ رسول الله (ﷺ) موقعهم وتربصهم حوله، خاطب علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قائلاً :(نم على فراشي و تسجّ ببردى هذا الحضرميّ الأخضر فنم

فيه فانّه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم)(البيهقي،1406، 2/ص470) ، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ينام في برده ذلك إذا نام.(الطبري،1408، 1/ص566-567)
قال ابن إسحاق (رحمه الله) : (فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه (صلى الله عليه وسلم) يرصدونه متى نام فيثبون عليه ، وكانوا على ثقة ويقين
جازم من نجاح هذه المؤامرة الدنية ، حتى وقف أبو جهل وقفة الزهو والخيلاء ، وقال مخاطباً لأصحابه المطوقين في سخرية واستهزاء : إن محمداً (صلى
الله عليه وسلم) يدعي انكم ان اعتنقتم دعوته وأطعتم توجيهاته ،سيكون العرب والعجم كلهم خاضعين لسلطة هيبتكم ومجدكم ،ثم يعيدكم بعد فناء أجسادكم ليجعل لكم جنات عدن تجري الأنهار من تحتها ، وإن لم تمتثلوا، كان مصيركم القتل، ثم بعد موتكم أُعيدتم لتواجهوا ناراً متأججة تحرق كل ما حولكم، وكان موعد تنفيذ تلك المكيدة بعد حلول منتصف الليل، فظلوا ساهرين يقظين مترقبين ينتظرون الوقت المناسب للدخول، إلا أن قدرة الله فوق كل شيء ، كل السماوات والأرض تحت قبضته، يدبر الأمور كما يشاء، وهو الناصر والمسيطر ، فقد أحاط برسوله الحفظ والرعاية، وصدّ كيد أعدائه ، فنجا النبي (صلى الله عليه وسلم) من مؤامرتهم ومكائدهم، وأظهر الله قوته وعنايته في حماية دعوته من كل مكر وخطط خبيثة ،قال تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك....)(الأنفال:30)،وفي الساعة الحرجة أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) علياً (رضي الله عنه) ان ينام في فراشة بدلا عنه ؛ وما إن انطلق رسول الله (ﷺ) من مكانه حتى شقَّ صفوف المشركين، فأخذ قبضة من التراب ونثرها على رؤوسهم، وقد حجب الله أبصارهم عنه فلم يروه، وهو يتلو قوله تعالى: (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون)(يس:9) ،فما كان من أحدٍ منهم إلا وقد أصاب رأسَه شيءٌ من التراب، ثم توجَّه النبي (ﷺ) إلى بيت أبي بكر (رضي الله عنه)، فخرجا معًا من بابٍ صغير في دار أبي بكر ليلًا، واتجها نحو غار ثور في طريقهما إلى جهة اليمن وبقى الأعداء يترقبون مجيء الوقت المناسب ،ومع اقترابها انكشفت وبانت هزيمتهم وخيبتهم ،فقد ظهر لهم رجل من بينهم لم يكن معهم وشاهدهم عند الباب ،فخاطبهم : ما شأنكم ؟ أجابوا : محمداً ،قال : خابت مساعيكم وهزمتم ، قد اجتازكم ونثر التراب فوق رؤوسكم ، ثم واصل طريقه لحاجته ،ردّوا : والله لم تدركه أبصارنا إطلاقاً ، وبدأوا ينفضون التراب عن ملابسهم ورؤسهم ،إلا أنهم اقتربوا من الباب بتطلّع وصبر، فرأوا علياً ظ(رضي الله عنه) ،فنطقوا : (والله إن هذا لمحمد) ،وظلوا في مكانهم حتى بزوغ الفجر ، فنهض علي (رضي الله عنه) فصار في قبضتهم ، وتوجهوا إليه بالسؤال عن محمد (صلى الله عليه وسلم) ،فأجاب : (لا أعلم شيئا عنه) وهكذا فشلت قريش في أول محاولة لاغتيال النبي (صلى الله عليه وسلم) وباءت بالفشل في سعيها .(ابن هشام،1405، 3/ص8،والاصبهاني،1377، 1/ص200، وصفي الرحمن،1407، 1/ص148)

المطلب الثاني : الإغراء بالمال والمكانة.

أن محاولات قريش لأغراء الرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم) بالمال والجاه تنوعت ، حيث جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا إن ابن أخيك هذا قد
آذانا في نادينا ومسجدنا ، حيث جاءوا إليه ثلاثة مرات :

المحاولة الأولى : جاء زعماء قريش لأبي طالب ،فقالوا يا أبا طالب، إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) قد أساء إلى آلهتنا ، وانتقد ديننا، وسخر من عقولنا، وأضل آباءنا، إما أن تمنعه عنا أو تتركنا وشأنه، فإنك تتبنى ما نتبناه من خلافه، وسنتكفل به. فرد أبو طالب عليهم بكلام لطيف، وأجابهم بشكل حسن، فذهبوا وابتعدوا عنه.

المحاولة الثانية : واصل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،على ثباته وموقفه ثابتاً على الحق متمسكاً به ، يبين دين الله وينشره بين الناس ، ثم تصاعد الخلاف بينه وبينهم، إلى أن تفرق الرجال وشتدت العداوة بينهم ، وأصبح ذكر رسول الله (ﷺ) كثيرًا بين القريشيين ،فتآمروا عليه وشاوروا بعضهم لتدبير مكيدة ضده ، ثم توجهوا إلى أبي طالب مجدداً ، خاطبوه : (يا أبا طالب ، أنت ذو شأن وشرف ومكانة عندنا، وقد طلبنا منك منع ابن أخيك فلم تفعل، وإنا والله لا نصبر على ما بدر منه من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين ، أو كما قالوا له، ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لهم ولا خذلانه.

ثم ناشد أبي طالب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالكف عن الدعوة ،حيث بعث إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد

جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه

قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه، قال : فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (يا عم ، والله لو وضعوا

الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته)،قال: ثم استعبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،

فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا بن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فو الله

لا أسلمك لشيء أبدا.

المحاولة الثالثة : إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا

إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة(هوعمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب كان شاعرا وولده الأسود ابن عمارة شاعر ، وكان يتولى عمارة المذكور بيت المال بالمدينة،الصفدي،1405، 22/ص251)،فقالوا له- فيما بلغني- يا أبا طالب، هذا عمارة ابن الوليد، أنهد فتى في قريش وأجمله، فخذه فلك عقله ونصره، واتخذه ولدا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسفه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فقال: والله لبئس ما تسومونني ! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدا، قال: فقال المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني ، لقد اتحد خصومي، وتخلى عني من كان من نصرتي، وتوحد القوم ضدي. قال لي: «اصنع ما تراه مناسبًا»، أو نحو ذلك. فتصاعدت الأحداث، واحتدمت الحرب، وتنازع القوم، وبدأ بعضهم يظهر عداءه للآخرين.

(ابن هشام ،1405، 2/ص102)

المطلب الثالث : تعذيب المستضعفين :

تصدى المشركون لدعوة النبي (ﷺ) بطرق شتى ووسائل متعددة، ساعين بكل حيلة ودهاء للصد عن سبيل الله وتشويه معالم الدين وإخماد نور الحق، ومع كل هذه المحاولات، فشلت كل أساليبهم ووسائلهم فشلًا ذريعًا، ولم تسفر عن أي نتيجة، بل ازدادت الدعوة قوة وثباتًا، وعندما أدركوا عجزهم وفشل خططهم، لجأوا إلى أسلو9ب أخير أشد خسة وأعظم ضررًا، يعكس مدى إحباطهم وفشلهم.

فكشروا عن أنياب الحقد والغيظ، وتفننوا في إيذاء المؤمنين، وتعذيبهم، وابتكار الوسائل لإبعادهم عن دينهم، محاولين إغواء بعضهم وإضعاف ثباتهم، حتى يظهروا قوتهم الزائفة ويخيفوا المؤمنين، لكن الحقّ ظل ثابتًا، والدين نورًا لا يطفأ .ولم يقتصر أذى قريش على الاتهام الباطل ، والتكذيب السافر والسخرية المرة ، والأذى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بل تصاعد إلى ذروة العنف

وخاصة في معاملة المستضعفين من المسلمين. فنكلت بهم لتفتنهم عن دينهم، ولتجعلهم عبرة لسواهم، ولتنفس عن غضبها بما تصبه عليهم من العذاب.

أما رسول الله (ﷺ) ، فبالرغم من ما وهبه الله من وقار النبوة وعظمة الرسالة، و قوة الشخصية وسمو الهمة ، فقد كان في حصن منيع بحماية عمه أبي طالب ، صاحب المكانة العالية بين قومه، مما جعل من الصعب على أعدائه المساس به مباشرة. ومع ذلك، عندما فشلت كل محاولاتهم مع أبي طالب ، ولم يفلحوا في ثنيه عن سب الآلهة، وتسفيه الأحلام، والدعوة إلى نبذ معتقدات الأجداد، لم يجدوا أمامهم سوى سبيل واحد، حاولوا تجنبه خوفًا من العواقب: وهو الاعتداء على النبي (ﷺ) نفسه. وانطلقت الألسن الماجرة بالسخرية والشتم، وامتدت الأيادي الآثمة لتلحق الأذى بالنبي ﷺ، محاولين زرع الخوف والرعب في قلوب المؤمنين. لكن الرسول (ﷺ) صمد، ثابتًا على دعوته، صابرًا في مواجهة كل ظلم وعدوان، محافظًا على ثباته وعزيمته الراسخة، ليكون نموذجًا خالدًا للصبر والشجاعة، يواجه كل محاولة للإضرار بالحق والدين بكل صبر وإيمان.

وفي طليعة هؤلاء الأشقياء، كان عمه أبو لهب، الذي لم يتوانَ عن ممارسة كل ما يخالف الحق ويعادي الدعوة، فقد كان من كبار بني هاشم، وذا مكانة بين قومه، لكنه لم يكن يهاب العواقب كما يخشاها غيره، بل كان عنيدًا في عدائه للنبي ﷺ ومقاومًا لكل دعوة أو نصيحة. وقد جعل هذا العناد منه رأسًا بارزًا في محاولات التشويه والإيذاء، وسلك دروب القسوة والخسة في مواجهة الحق، متجاهلًا كل حكم أو اعتبار، حتى أصبح مثالًا صارخًا لمن يسلك سبيل الطغيان والعداء ،وقد تجلّت عداوته للإسلام والمسلمين منذ اليوم الأول، حتى بلغ به الأمر حدّ التصرّف العدائي المستمر تجاه النبي ﷺ. فقد كان يتتبع خطواته في الأسواق والمجامع، وفي مواسم الحج يكذّبه علنًا، ويرميه بالحجارة حتى تتدمى قدماه، معبّرًا عن حقده الشديد وعدائه الصارخ للرسالة والدعوة، وكان أبو لهب قد زوّج ولديه، عتبة وعتيبة، من ابنتي رسول الله (ﷺ)، رقية وأم كلثوم، قبل البعثة النبوية. لكن عندما حلت البعثة، أمر بتطليقهما، معبرًا عن معاداته للدعوة ورفضه لأي ارتباط بالإسلام أو بأهل النبي (ﷺ) ، وعندما توفي عبد الله، الابن الثاني للنبي (ﷺ)، استبشر أبو لهب بهذه المصيبة، فذهب إلى المشركين يبشرهم بأن محمدًا صار أبتر، معبرًا عن حقده وغيظه. وكانت امرأته، أم جميل، امرأة سليطة اللسان، لا تتورع عن السخرية من النبي (ﷺ)، وتبسط لسانها عليه، وتثير نار الفتنة بينه وبين الناس، محاولةً إشعال حرب شعواء ضد دعوته. لم تتوقف عند هذا الحد، بل كانت تضع الشوك في طريقه، وتلقي القاذورات على بابه، لتزيد من الإيذاء النفسي والجسدي للنبي (ﷺ)، محاولة إضعاف صبره وإحباط دعوته .

ومن صور الأذى التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وسلم) ما ثبت عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال:بينما رسول الله(صلى الله عليه وسلم)

قائم يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم ر: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان ، فيعمد إلى فرثها

ودمها وسلاها، فيجيء به، ثم يمهله ،حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ فانبعث أشقاهم –وهو عقبة بن أبي معيط-فلما سجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي (صلى الله عليه وسلم) ساجدًا ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك ،فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية
فأقبلت تسعى، والنبي (صلى الله عليه وسلم) ساجدٌ ، حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم ،فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلاته ، قال : (اللهم
عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش، ثم سمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ،والوليد بن عتبة ،وأمية
بن خلف ،وعقبة بن أبي معيط ، وعمارة بن الوليد)،يقول ابن مسعود :(فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب ، قليب بدر) (البخاري،1370، كتاب الوحي،برقم520 ، 1/ص138)
ومن أبشع صور الأذى التي تعرض لها رسول الله ﷺ ما يرويه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي (ﷺ) كان قائمًا يصلي عند الكعبة، بينما كانت قريش جالسة في نواديها تراقبه بعين الحقد والاستهزاء. فقال أحدهم ساخرًا: ألا ترون هذا المرائي؟ من منكم يذهب إلى جزور آل فلان، فيأتي بفضلاتها ودمها وسلاها، ثم ينتظر حتى يسجد ليضعها على ظهره؟ فهبّ أشقى القوم – عقبة بن أبي معيط – وانطلق يأتي بالقذر، فلما سجد النبي ﷺ وضع النجاسة بين كتفيه، فتعالى ضحك المشركين حتى مال بعضهم على بعض من شدته، مستمتعين بهذا المشهد الخبيث. وأسرع رجل إلى فاطمة رضي الله عنها، وكانت يومها فتاة صغيرة، فأقبلت مسرعة لا تملك إلا قلبًا ملتهبًا غيرةً على أبيها. وصلت إلى المسجد والنبي (ﷺ) لا يزال ساجدًا، فأزالت عنه ما وضعوه، ثم أقبلت عليهم تسبهم بشجاعة طفلة يفوق غضبها حجمها. ولما انتهى رسول الله (ﷺ) من صلاته، رفع يديه وقال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش» ثم سمّى رجالًا من صناديد الكفر: عمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد. ويقول ابن مسعود (رضي الله عنه): (فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم جرّوا إلى القليب، قليب بدر).(البخاري،1370 ،بدء الوحي ،برقم 3856، 5/ص226)
ومن صور الأذى التي واجهها رسول الله (ﷺ) أن كبار قريش اجتمعوا يومًا في الحِجْر يتباحثون أمره، وقد امتلأت صدورهم غيظًا وقال بعضهم لبعض: ما رأينا مثل ما تحمّلناه من هذا الرجل؛ فقد عاب آلهتنا، ووصفنا بسفه الأحلام، وتجرّأ علينا بما لا يطيقه أحد! وكانوا يتذمرون من صبرهم الطويل عليه، إذ دخل النبي (ﷺ) عليهم فجأة، فما إن رأوه حتى هبّوا دفعة واحدة، وأحاطوا به من كل جانب، يرمونه بالأسئلة والاتهامات، قائلين: أأنت الذي تقول كذا وكذا؟ فيجيبهم بثبات: (نعم، أنا الذي أقول ذلك)، ثم مدّ أحدهم يده إلى رداء النبي ﷺ فجذبه بشدة يريد إيذاءه، فاندفع أبو بكر رضي الله عنه بكل شجاعة، يقف حاجزًا بين النبي ﷺ وبينهم، والدموع تملأ عينيه وهو يقول: «أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟!» ويروي عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سأله عن أشد ما لقيه رسول الله ﷺ من المشركين، فقال: بينما النبي ﷺ يصلي عند الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنق النبي ﷺ، وخنقه خنقًا شديدًا، فهرع أبو بكر رضي الله عنه إليه، وأمسك عقبة من كتفيه، وطرحه بعيدًا عن رسول الله ﷺ، وهو يكرر صرخته المشهورة: «أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟!).
(الترمذي،1405، كتاب :صفة القيامة،برقم2472، 4/ص226)
ولو أردنا سرد المواقف التي تعرّض فيها رسول الله (ﷺ) للأذى من قريش قولًا وفعلًا لطال الحديث ، فقد تنوّعت أساليبهم وتدرّجت حتى بلغت حدّ محاولة قتله في أواخر العهد المكي. وازدادت جرأتهم بعد وفاة عمه أبي طالب ، الذي كان يشكّل له درعًا يصدّ عنه اعتداءاتهم ، فلما مات

انكشفت له هيبتهم، وتجرّؤوا على ما لم يجرؤوا عليه من قبل. وكان النبي (ﷺ) يستعيد تلك اللحظات المؤلمة، ويذكّر بما لقيه من قريش قبل أن يصيب أتباعه شيء من الأذى، فيقول: (لقد أُخِفتُ في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيتُ في الله وما يُؤذى أحد).

أما العصبة المؤمنة فقد تحملوا من صنوف العذاب وألوان البلاء ما تنوء بحمله الجبال ، وتتفطر لسماعه القلوب ، وتتقشعر منه الجلود ، فأما ذووا المكانة والشرف فكانوا في عز ومنعة من قومهم ومع ذلك لم يسلم كثير منهم من الأذى والابتلاء كما هو الحال مع أبي بكر (رضي الله عنه)،حيث حُثي على رأسه التراب ، وضرب في المسجد الحرام بالنعال حتى ما يعرف وجهه من أنفه ، وحُمل إلى بيته في ثوبه وهو ما بين الحياة والموت ، وكما فعل بعثمان بن عفان(رضي الله عنه) فكان عمه يلفه في حصير من ورق النخيل ثم يدخنه من تحته ، وكما فعلت أم مصعب بن عمير حين علمت بإسلامه حتى منعته الطعام والشراب وأخرجته من بيته ، وكان من أنعم الناس عيشًا ، فتقشر جلده تقشر الحية .

وأما المستضعفون من المسلمين لا سيما - العبيد والإماء-،فلم يكن هناك من يغضب لهم ويحميهم ، بل كان السادة والرؤساء أنفسهم هم من يقومون بتعذيبهم وإغراء الأوباش والسفهاء بهم ، حتى ألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، وجعلوا الصبيان يطوفون بهم في شعاب مكة ونواحيها .

فكان صهيب بن سنان رضي الله عنه يُعذَّب حتى يفقد وعيه ولا يدرى ما يقول ، وكان أمية بن خلف يضع الحبل في عنق بلال (رضي الله عنه) ، ثم يسلمه إلى الصبيان يطوفون به في جبال مكة ويجرونه حتى يؤثر الحبل في عنقه ، وكان يخرجه في حر الظهيرة فيطرحه على ظهره في الرمضاء في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك : أحد أحد ، ويقول : لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها .

وعذب عمار بن ياسر (رضي الله عنه) بالحر تارة، وبوضع الصخر الأحمر على صدره أخرى، وبغطه في الماء حتى يفقد وعيه ، وقالوا له : لا نتركك حتى تسب محمدًا (ﷺ)أ و تمدح اللات والعزى ، فاضطر إلى موافقتهم تحت الضغط، ثم عاد إلى رسول الله (ﷺ) باكيًا يطلب العذر ، بينما قُتلت أمه بطعنة آثمة وجهها إليها أبو جهل ، أمّا خباب بن الأرت رضي الله عنه فكان نصيبه أن يُحرق بالنار؛ إذ كانت سيدته تضع الحديد المحمى على جسده محاولة إبعاده عن دينه ، والمشركون يعذبونه بأقسى الأساليب ؛ يلوون عنقه ويشدّون شعره ، ثم يطرحونه على النار ويجرّونه فوقها حتى انطفأت من شدة ما سال من شحم ظهره، فأنزل الله(الواحدي،1411،ص281): (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمن بالإيمان)(النحل :106) ، وقد قضى والده تحت العذاب الشديد، روى سعيد بن جبير أنه قال لعبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : هل كان المشركون يوقعون بأصحاب رسول الله (ﷺ) من العذاب ما يُعذر معه من اضطر لترك دينه؟ فقال ابن عباس: نعم، والله لقد كانوا يضربون أحدهم ويتركونه جائعًا عطشان، حتى يعجز عن الجلوس من شدة ما نزل به من الألم، فلا يجد مخرجًا إلا أن يجيبهم إلى ما يطلبون من الفتنة. وكانوا يقولون له: أاللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيضطر أن يقول: نعم، فقط ليدفع عن نفسه ما نزل به من البلاء،(ابن هشام،1405، 2/ص320)،ومع شدّة ما يلقاه الصحابة من العذاب، لم يكن رسول الله(ﷺ) قادرًا على دفع ما ينزل بهم، لكنه كان يملأ قلوبهم بالثبات، ويذكّرهم بعظيم

الثواب المعدّ للصابرين المحتسبين، وكان يخبرهم بما تعرّض له المؤمنون قبله من ألوان الشدائد والابتلاء ، ويغذي نفوسهم باليقين في وعد الله لهذا الدين ، وأن المستقبل له ولأهله ،وكان (ﷺ) يبشرهم بأن الله سيتمّ أمره حتى يأمن المسافر من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا ربّه، ولا يخشى على ماشيته إلا من الذئب. فكان هذا الوعد الكريم سببًا في تقوية عزائمهم ، ودفعهم لمواصلة طريق الدعوة بثبات وصبر وأمل. حتى جاء وعد الله، فرفع عنهم البلاء، ونصرهم على عدوهم، وأعلى شأنهم، وأكمل لهم الدين، وأتمّ عليهم نعمته.(اكرم العمري،1415، 1/ص154)

ولم تكن تلك الحوادث المؤلمة والمآسي سوى جزء يسير من مشهد واسع امتلأ بصور الاضطهاد المرير الذي صبّه المشركون على المؤمنين في مطالع الدعوة؛ فخلف كل قصة من تلك القصص معاناة أشد، ووراء كل اسم يُذكر عشرات غيره ممن كتم التاريخ أنينهم، وقد صبروا على ما لاقوه من التعذيب والتهديد والإيذاء الجسدي والنفسي، محتسبين ذلك كله في سبيل تثبيت إيمانهم. فكانت تلك السلسلة الطويلة من الابتلاءات شاهدة على صلابة ذلك الجيل وروح التضحية التي حملها، وعلى مقدار ما واجهوه من محن في الأيام الأولى لظهور الإسلام .

المطلب الرابع : الحصار الاقتصادي والاجتماعي .

الحصار على المسلمين الأوائل ، كان نتيجة لرفض قريش قبول الدعوة الإسلام التي بداها الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) ، فغدت قريش تخشى من تأثير هذه الدعوة على مكانتها السياسية والاقتصادية ،وبعد مدة من الزمن اعتنق الإسلام حمزة عمّ رسول الله (ﷺ)، فألحقه بذلك جمعٌ غفير من الناس، فانتشر الدين وارتفعت رايته بين الناس.

فلما أدركت قريش مدى انتشار الإسلام وامتداد نفوذ بني هاشم وبني المطلب، وما صاحبه من قوة الإيمان عند الصحابة ، ساءها ذلك أشد السوء، فشاع بينهم الخوف والقلق من أن يزداد شأن هذا الدين الجديد ويعلو في الأرض ، فاجتمعت زعماء قريش وقرروا اتخاذ تدابير صارمة بحق بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف، ليكونوا عبرة لمن يخالفهم ويعلو شأن دين الله ، وقد توصلوا إلى اتفاق يقضي بعدم التعامل معهم بأي شكل من الأشكال: فلا يبايعوهم ، ولا يتزوجوا منهم ، ولا يكلّموهم ، ولا يجالسوا أحدًا من رجالهم ونسائهم ، حتى يُسلم إليهم رسول الله (ﷺ)، ولتأكيد هذا القرار وتوثيقه، كتبوا صحيفةً رسمية أُعلق نصها في سقف الكعبة، لتكون بمثابة إعلان علني أمام قريش والعرب جميعًا، ويُقال إن الذي كتب هذه الصحيفة كان منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف، ويُقال أيضًا إنه الضر بن الحارث، ومع أن كاتبها كتبها بدقة، فإن دعاء النبي(ﷺ)على هذه الصحيفة فشل يد كاتبها، وأظهر الله تعالى قوته وحق رسالته.

وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى شعبهم، متحدين في موقفهم، مؤمنهم وكافرهم على حد سواء ، باستثناء أبي لهب لعنه الله ، الذي ظل ظاهرًا مع قريش معارضًا، متخليًا عن الحق. وظل هذا الحصار والقطع الاجتماعي عليهم نحو ثلاث سنوات كاملة، عاشوا خلالها في عزلة تامة، بلا طعام يمدهم من خارج قبائلهم، وبلا كلام أو مجالسة من أي أحد من أهل مكة، حتى أصبحوا مختبئين في شعبهم ، محافظين على دينهم ، صابرين محتسبين، متحملين كل أنواع المشاق والعذاب النفسي والجسدي. وفي هذه الأثناء، نظم أبو طالب قصيدته الشهيرة التي أثنى فيها على أهل بيته : جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ، لتكون شاهدًا على دعمه لهم وإيمانه بقوة الحق الذي يحملونه.

ثم سعى بعض قادة قريش لتقليل أثر هذه الصحيفة وإضعاف مفعولها، وكان من أبرز القائمين بالأمر هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث، الذي سار في مهمته إلى مطعم بن عدي وجماعة من زعماء قريش، فوافقوه على تنفيذ ما يخططون له، وأخبر رسول الله (ﷺ) قومه أن الله قد أرسل على

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 758-796

هذه الصحيفة الأرضة، فابتلعتها وأكّلت كل ما فيها إلا ذكر الله عز وجل، فتجلّت قدرة الله وحماية رسوله، وبقيت الكلمة الإلهية صامدة على الرغم من محاولات البشر لإلغائها.

وبعد مضي هذه الأحداث ، عاد بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة، وأبرم الصلح بينهم وبين بقية قريش، رغم معارضة شديدة من أبي جهل عمرو بن هشام، الذي حاول الاستمرار في معاداة النبي ﷺ وأصحابه، لكنه لم يجد سبيلًا لمواجهة إرادة الله ونصرة الحق.

وتواصلت أخبار هذه الأحداث مع الذين كانوا في الحبشة، فأرسلوا جماعة إلى مكة ليطلعوا على الوضع، فوجدوا البلاء والشدة مستمرة كما كان، وعايشوا عن قرب معاناة الصحابة، وما تحملوه من صبر وثبات. واستمر بعضهم في مكة حتى لحظة الهجرة إلى المدينة المنورة ، أما بعض الصحابة فقد لقيتهم ظروف خاصة: فالسكران بن عمرو، زوج سود بنت مزمعة ، توفي قبل الهجرة ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة تم احتجازهما وتكبيدهما الألم والمعاناة، وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى حُبس أيضًا بسبب موقفه الديني. ولما جاء يوم بدر، أحد أهم ميادين القتال في السيرة النبوية، استطاع بعض هؤلاء الصحابة الذين كانوا محتجزين أو تحت الضغط أن يفرّوا من المشركين ويلتحقوا بالمسلمين، فكان ذلك اليوم علامة فارقة في تاريخ الدعوة، يثبت فيها الله قوة نصره وحق رسالته، ويبرز الصبر والثبات الذي تحلى به الصحابة الأوائل في مواجهة أشد أنواع البلاء والمحن .(ابن كثير،1403، ص102-103)

المبحث الرابع : نتائج مناهضة المشركين للدعوة الإسلامية .

المطلب الأول : الثبات على الدعوة :

وتتمثل الدعوة هنا دعوةُ الخلق إلى توحيد الله تعالى واتباع دينه الحق؛ قال سبحانه: (قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (يوسف :108)،وهذه الدعوة إنما غايتها هداية الناس إلى دين الله، وهو الإسلام؛ لقوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران:19) ،والإسلام هو أصل الدعوة ومحورها، وقد أدّى النبي ﷺ هذا الدين العظيم أتم أداء، وظل ثابتًا على دعوة الناس إلى الله منذ أن شُرِّف بالرسالة إلى أن لقي ربَّه الكريم. وقال تعالى في شأنه: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) (الأحزاب:45-46)، فكان (ﷺ)أول الدعاة إلى الإسلام، وبدأت دعوته بالعرب الذين بلّغهم رسالة ربهم وغيرهم ؛ لأن رسالته عامَّة إلى جميع البشر، غير مقصورة على العرب ، قال تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (سبأ:28) ، وقد قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب والمناهج التي أوحى بها الله إليه، والثابتة في القرآن والسنة النبوية الكريمة، وهذه الوسائل والأساليب وما يتصل بها.

أن الصبر على أمر الله والثبات على دينه ، والعزيمة على الرشد والاستقامة على الشرع ،والاستمساك بالوحي وأخذه بقوة، والصدق مع الله والحزم في طلب الآخرة والزهد في الدنيا، وأن من فعل ذلك كانت العاقبة له، وأرغم الله له أنوف أعدائه وأظهره عليهم، ومكن له في الأرض واستخلفه فيها، ويكون له في المآل ما هو خير له وأنفع مما تركه وأعرض عنه ابتغاء وجه الله ،ولذلك لما ذكر الله تعالى حال الخلف التالف من بني إسرائيل، وميلهم إلى الدنيا وركونهم إليها، ذكَّرهم أن الآخرة خير وأبقى، ثم مدح المستمسكين بوحيه المتقربين إليه بالعبادة، وبشرهم أن أجرهم محفوظ لا يضيع ، وسعيهم مشكور لا يخيب ،حيث قال تعالى:(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون * والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين)(الأعراف:169-170) ولهذا أيضا لما ذكر الله أنواعا من متاع الدنيا في سورة الزخرف ، التي ينبئك اسمها عن فحواها، أمر الله

تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالاستمساك بالوحي، ونبه سبحانه أنه هو الشرف الحقيقي والرفعة والمكانة المرموقة ، فقال عز وجل : (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم*وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسئلون)(الزخرف :43-44)،وقال تعالى:(فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم)(الشورى : 15)،ثم من هذه الدروس أيضا معرفة حفظ الله تعالى لأوليائه وتثبيته وإعانته لهم،كما قال الله تعالى في حق نبيه يوسف(عليه السلام): (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين).(يوسف :24)

وقد تعرّض الأنبياء، وفي مقدمتهم نبينا محمد(ﷺ) لصور متعددة من الكيد والإغراء ومحاولات الصدّ عن منهج الله، لكن الله تعالى عصمهم من الفتن، وثبّت قلوبهم على الحق، وصرف عنهم مكائد المفسدين وأهواء الضالين، فقد واجه النبي (ﷺ) ضغوطًا شديدة من قومه؛ سعوا إلى أن يحيد عن الوحي الذي أُنزل عليه، وأن يلين لهم في بعض ما يطلبون، وأن يقبل التنازل عن شيء من دعوته، لكنه ثبت ثبات الجبال، وحفظه الله من كل ما أرادوه به من الفتنة أو الإخراج من بلده أو إضعاف عزيمته. ومن خلال هذه المواقف العظيمة يتعلم الشاب المسلم دروسًا جليلة في الثبات والصبر وقوة الإرادة ، فهو يرى أن طريق الاستقامة ليس مفروشًا بالراحة ، وأن مواجهة المغريات والشهوات وضغوط المجتمع سنة ماضية لا ينجو منها أحد ،كما يدرك أن القدوة التي ينبغي أن يقتدي بها هي شخصية النبي (ﷺ) بما تحمله من صفاء، وشجاعة، وعلوّ خلق، ونقاء قصد، وصدق توجّه إلى الله تعالى.وعليه أن يستلهم من سيرة النبي (ﷺ) نورًا يهديه في زمن كثرت فيه الفتن وتنوّعت مغرياته ؛ فلا يخضع لزخارف الدنيا ، ولا ينجرف خلف ما يبعده عن طاعة الله، ولا يسمح لأي شهوة أو رغبة أو ضغط أن يغيّر مساره،بل يوحّد وجهته، ويقوي عزيمته،ويجعل همَّه مرضاة الله، فينشأ ثابتًا على المبدأ،مستقيمًا على الطريق، راسخًا كالطود في مواجهة ما يعترضه.

وإذا سار الشاب على هذا النهج، رفعه الله، ووفقه، وجعله من عباده المتقين الذين يهيّئون بأخلاقهم وأعمالهم ونقاوة قلوبهم أسباب نصرة الدين، ويمهدون بجدّهم وثباتهم لظهور الحق وتمكينه.(عبدالكريم زيدان،1421،ص5)

المطلب الثاني : التحول نحو الجهاد .

إن الجهاد في المفهوم الإسلامي هو بذل المسلم أقصى ما يستطيع من طاقة وجهد في نصرة دين الله، طلبًا لرضوانه، وسعيًا لرفع راية الحق وإعلاء كلمة التوحيد. ولهذا كان التقييد الشرعي للجهاد بأنه "في سبيل الله" قيدًا أصيلًا لا يقوم الجهاد بدونه؛إذ إن المقصود منه ليس مجرد القتال أو الصدام،بل هو عمل تضبطه النية الصادقة، وتحدّده الغاية الربانية، ويُهذّبه مقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل.

وقد جاءت النصوص القرآنية لتقرر بجلاء أن جهاد المسلمين – ومنه القتال – إنما هو جهاد موجَّه إلى تحقيق مرضاة الله ، وإظهار دينه في الأرض ، على خلاف الكافرين الذين يقاتلون في طريق غير طريق الحق، ويستمدّون دافعهم من نوازع الهوى والباطل، ولذلك قال تعالى قولًا فاصلًا يفرّق بين الجهتين : (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) (النساء : 76).

ويُعبَّر عن هذا المعنى بأوضح منه بقولهم : القتال لتكون كلمة الله هي العليا،وهو التفسير النبوي الصريح الذي حدّد معيار الجهاد الحق ومعنى (في سبيل الله) ، فقد سُئل رسول الله (ﷺ) عن المقاتل ؛ أيّهم في سبيل الله؟ أهو الذي يقاتل شجاعة؟ أم الذي يقاتل حميةً ؟ أم الذي يقاتل رياءً؟ فأجاب (ﷺ) بميزان دقيق جامع، فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (البخاري،1370، كتاب : التوحيد ،باب : قوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا)،برقم 7458 ، 24/ص313)

والمقصود بكلمة الله هنا هو الإسلام ، وجعلها هي العليا يعني أن تكون ظاهرة، نافذة ،غالبة على الباطل، قائمة في النفوس والمجتمعات، وهذا من أعظم ما يُتقرّب به إلى الله؛ إذ إن إظهار دينه ونشر هداه وتحقيق مقاصده في الأرض من أحب الأعمال إليه سبحانه .

والجهاد في الإسلام ليس مقصورًا على صورة واحدة، بل تتنوّع أنواعه وتتعدّد مظاهره بحسب قدرة المسلم وحاجات الأمة ومواطن النصرة ، فمن أنواعه الجهاد باللسان ،وهو أن يبيّن المسلم حقيقة الإسلام وشريعته، ويدفع الشبهات والأباطيل التي تُلصَق به ظلمًا وعدوانًا، فيُظهر الحق، ويكشف زيف الدعاوى الباطلة، ويكون لسانه سيفًا في وجه الافتراء والتضليل، وهذا اللون من الجهاد كان من أوائل ما قام به النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه حين واجهوا الأكاذيب والشبهات التي أطلقها المشركون.

ومن أنواعه كذلك الجهاد بالمال، وذلك بإنفاقه في وجوه الخير، ولا سيما في دعم المجاهدين والمرابطين، وتوفير ما يحتاجون إليه من عتاد وسلاح وطعام وزاد، وتمويل بناء القوة التي تحفظ للأمة عزتها وسيادتها. وقد جعل الإسلام الإنفاق في سبيل الله بابًا عظيمًا من أبواب القرب والطاعات؛ لأن المال عصب الحياة وقيام المشاريع، وبه تُقام الدعوة وتُصان الأمة.

وأعظم هذه الأنواع مكانة الجهاد بالنفس، وهو مقاتلة أعداء الله دفاعًا عن الدين وحماية للأرض والعرض والكرامة. وإذا أُطلق لفظ الجهاد في النصوص الشرعية، كان الغالب فيه أن يُراد به هذا النوع تحديدًا، لأنه أبلغ صور التضحية، وأشدّها خطرًا وأعظمها أثرًا.

ولهذا يُقرَن الجهاد بالنفس غالبًا بالجهاد بالمال ؛ لأن حماية الدين تحتاج إلى بذلٍ يجتمع فيه المال والنفس معًا ، وقد ورد هذا الاقتران في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ومنها قول الله تعالى في تصوير تجارة رابحة تنجي أصحابها من العذاب، وتعدهم بالمغفرة والنصر والفتح والرضوان والجنات المقيمة، وهذا التلازم بين المال والنفس يدلّ على أن نصرة الدين لا تتحقق إلا بتكامل الجهود، وبأن يبذل المسلم ما يستطيع من قدراته، بحسب طاقته وموقعه.

والجهاد بالنفس ؛ أي مقاتلة أعداء الله والدفاع عن أراضي المسلمين وحوزة دينه ، يعد في الأحوال الاعتيادية فرض كفاية ، فحين يكفي بعض المسلمين في مواجهة العدو وتحقيق الغاية المرجوة، يسقط الإثم عن الباقين، ولكن هذا الحكم يتغير ويتحوّل إلى فرض عين في حالات الخطر المحددة، مثل احتلال الكفار لبلدٍ من بلاد الإسلام، أو إذا استنفر الإمام المسلمين لمواجهة تهديد مباشر للأمة، ففي هذه الأحوال يصبح النفير واجبًا على كل مسلم قادر، فلا يجوز لأحد أن يمتنع عن القتال أو يعتذر إلا بعذر شرعي معتبر، ويكون كل فرد من الأمة مسؤولًا عن المشاركة في نصرة دين الله وحماية الأرض والعرض.

وقد بين الإمام ابن العربي المالكي(رحمه الله) هذا الحكم بوضوح فقال: (إذا كان النفير عامًا لغلبة العدو على الحوزة، أو استيلائه على الأسرى، كان النفير عامًا، ووجب الخروج خفافًا وثقالًا، وركبانًا ورجالًا، عبيدًا وأحرارًا، من كان له أب من غير إذنه، حتى يظهر دين الله، وتُحمى البيضة، وتُحفظ الحوزة، ويُخزي الله العدو، ويُستق الأسرى، ولا خلاف في هذا). (ابن العربي،1424، 2/ص517)

فالجهاد بالنفس، مقرونًا بالجهاد بالمال، هو وسيلة لتحقيق نصرة الدين ، وإظهار كلمة الله ، وحماية الأمة من العدوان، وهو باب عظيم من أبواب القرب والرضوان، وسبب لنيل النصر والفوز العظيم في الدنيا والآخرة .ولما كان الجهاد من فروض الإسلام عظمت الوصية به، وأمر الله تعالى بالإعداد له، فقال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(الأنفال:60)،فكل ما يقوّي أمر القتال يجب تحصيله بحسب اختلاف الأزمنة، ومن أهم وسائل القوة اليوم إتقان العلوم والصناعات العسكرية، وهو فرض كفاية؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ويُستحب للمسلم تعلم مهارات القتال كالرمي واستعمال السلاح ابتغاء وجه الله، وتعليمها للآخرين عمل صالح؛ فمن علّم غيره كان شريكًا له في الأجر دون أن ينقص من أجرهما وكان

الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بتعلم الرمي والفروسية (الأخبار الواردة عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) في هذا الشأن ضعيفة)،وذلك استعدادا للجهاد في سبيل الله .(عبدالكريم زيدان،1421،ص272-273)

المطلب الثالث : انتشار الدعوة في أنحاء العالم .

لقد تحقق انتشار الدعوة الإسلامية وازدهارها وإقبال الناس على اعتناقها في أصقاع الأرض نتيجة التفاني العظيم لسلفنا الصالح، الذين بذلوا كل جهدهم وتضحياتهم بسخاء وإخلاص، مخلصين أعمالهم لوجه الله وحده ، باذلين الأرواح والأموال ، ومن يملك نصيبًا من العقل والعلم والدين يدرك بالضرورة أن كل شبر من أرض الإسلام – مهما بلغت سعتها واتساع أطرافها – هو أرض طاهرة معطرة بدماء المجاهدين في سبيل الله، الذين حملوا على عاتقهم مهمة هداية البشرية إلى دين الله، ثم استودعوه بين أيدينا، وتركوا أمر المحافظة عليه أمانة في أعناقنا ، وهكذا أثبت تاريخ الإسلام أن القرآن الكريم قد ربى المسلمين أحسن تربية، وأعدهم أكمل إعداد، لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية، والتضحية في سبيلها بالنفس والنفيس، وأن الخطاب الإلهي المذكور الذي وجهه الحق سبحانه وتعالى إليهم قد استجابوا له وتقبلوه أحسن قبول، وذلك مصداق قوله تعالى :(لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)(آل عمران : 186)،وكلنا يعلم ما تعرض له الإسلام منذ نشأته الأولى ، وما يتعرض له إلى الآن وحتى الآن، من الأذى البالغ والمكر السيئ الذي يوجهه إليه في شتى الأشكال مخالفوه من أهل الكتاب أولا ، ومن غيرهم ثانيا ، فمن تحريف لكتاب الله وتزييف لمعانيه، ومن تشويه لتاريخ الإسلام وعقائده ، ومن تهجم على شعائره وشرائعه بالنقد السخيف والنقص الباطل ، ومن محاولات متوالية لبلبلة أفكار المسلمين، وبث الحيرة والشك في نفوسهم، ونشر الإباحية والفوضى في أوساطهم، فضلا عما تعرض له الإسلام في بعض الأزمات والأوقات من إبادة الآثار الإسلامية، وقضاء على بدائع التراث الإسلامي ، وضغط على العناصر الإسلامية لتندمج في غيرها مكرهة ، أو تفنى وتبيد بالمرة. وهكذا أثبت تاريخ الإسلام والتاريخ أن القرآن الكريم كان صادقا كل الصدق عندما قرر للمسلمين من أول يوم أنهم سيكونون عرضة للأذى من طرف أهل الكتاب وغيرهم،وأن هذا الأذى لن يكون قليلا وإنما سيكون أذى كثيرا ، وذلك مصداق قوله تعالى وهو يخاطب المؤمنين خطابا مؤكداً : (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً)(آل عمران : 186) وبعد هذا الخبر الغيبي الصادق ، والخطاب الإلهي المؤكد ، المتضمن لما سيتعرض له المسلمون من ابتلاء وإيذاء ، جاء التعقيب عليه بآية أخرى تنبه المسلمين إلى أن عدتهم الأولى للتغلب على ضعف أنفسهم وعلى أذى أعدائهم إنما هي الصبر والتقوى ،وكلاهما من الأمور الشاقة التي لا يقوى عليها إلا أهل العزائم هم من أولي العزم والهمة العالية، الذين يتحلون بالصبر والثبات في مواجهة الصعاب والمحن، كما ورد في كتاب الله العظيم : (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (آل عمران :186)، وقوله تعالى موجّهًا المؤمنين: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران :200).

وهؤلاء العظماء لم يحققوا النصر والتمكين للإسلام إلا بما تحلّوا به من الصبر على القيام بالواجبات مهما كانت شاقة ،وتحمل المكاره والتحديات التي لا تنتهي، وما التزموا به من تقوى الله، التي جعلتهم يقظين دائمًا ، حذرين من أهوائهم قبل أن يكونوا حذرين من أعدائهم. هذا الصبر والتقوى جعلاهم قادرين على مواجهة العقبات، وفتح قلوب البشر للإسلام، وتحقيق المعجزة الكبرى : الفتح الروحي للعقيدة الإسلامية ، الذي أضاء العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ورفع كلمة الحق على سائر العقائد المخالفة، حتى أصبحت رسالة الإسلام مهيمنة على القلوب والأنفس، لتعيش الأمة على أثره اليوم في قوة وعزة وطمأنينة.

ولم يقتصر هذا على الجانب المادي أو العسكري، بل شمل جانب التثقيف الروحي والتربية الخلقية، مما جعل المسلمين قادرين على صيانة دينهم وحوزتهم وحماية مجتمعاتهم، مع الحرص على تعليم الأجيال الجديدة قيم الجهاد والصبر والتقوى، ليظل الدين حيًّا نابضًا في قلوب الناس، ومتجذرًا في أرض الواقع. وقد طمأن الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين بأن دينه محفوظ، وأن نصرة الإسلام مضمونة بإذنه تعالى، وأن الكافرين مهما تمادوا وتقلبوا في البلاد لن يضروا دين الله، فقال سبحانه:
(لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)
(آل عمران : 196-197). إن هذا التأكيد الإلهي يعطي المؤمنين الطمأنينة والقوة، ويزيدهم إصرارًا على العمل من أجل نصرة الدين، والإخلاص في السعي لإعلاء كلمة الله، والاستمرار على منهج الصبر والتقوى، حتى يظل الإسلام حاكمًا في الأرض، ورافعًا لشعارات الحق والعدل، مستمدًا قوته من جهد المجاهدين الصالحين ومن صبر الأولين على المكاره، وتضحياتهم الجسيمة التي بذلوها خالصة لوجه الله تعالى .(الطبري،1405، 6/ص325، والبغوي ،1400، 2/ص154).

الخاتمة:

وبعد هذا العرض المفصل لما جاء في أقوال المشركين في مناهضة الدعوة إلى التوحيد ، في ضوء ما بينه القرآن الكريم ، تتجلى لنا بوضوح عظمة هذا
الكتاب في توثيق تلك المرحلة المهمة من مراحل الصراع بين الحق والباطل، وبين دعوة التوحيد والشرك، كما تبرز قدرة القرآن الفائقة على تحليل المواقف
والأقوال والرد عليها بمنهج رباني ، يقوم على الحجة والبيان والعدل ، لا على العنف أو الإقصاء .
لقد كشفت الدراسة أن أقوال المشركين في مواجهة الدعوة لم تكن ناتجة عن جهل مجرد فحسب ؛ وإنما عن عناد واستكبار وحرص على حفاظ مصالحهم ،
والنفوذ الاجتماعي والاقتصادي، بل إن اغلبهم كانوا يحملون طابع المراوغة السياسية والافتراء المقصود والحقد والضغينة المقيتة، كما في قولهم عن النبي
(صلى الله عليه وسلم) إنه "ساحر" أو "كاهن" أو "شاعر" وغيرها من الأوصاف التي كان هدفها تشويه صورة الدعوة والنيل من مصداقية حامليها ،رغم
إدراك كثير منهم في قرارة أنفسهم صدق دعوته وصحة ما جاء به .
وقد تناول القرآن الكريم في تعامله مع هذه الأقوال طرق عديدة ، منها الرد المنطقي و العقلي الذي يكشف سذاجة وضعف حججهم ، ومنها التذكير بمآل
وعاقبة الأمم السابقة التي كذبت الرسل ، ومنها الاستخلاص بآيات النفس والكون والتاريخ ، مما يدل على عمومية واستيعاب المنهج القراني في معالجة
شبهاتهم وأباطيلهم .
ومن الأشياء التي يستوجب الوقوف عندها ، أن قوال المشركين التي وجاءت في القرآن الكريم لم تكن خاصة بزمن النبي (صلى الله عليه وسلم) بل أن كثيراً من محتواها ومفاهيمها ما برح يتكرر في صور وأشكال مختلفة في كل زمان ومكان ، وهو ما يجعل القرآن الكريم مصدراً موثوقاً خالداً ، في بيان أساليب الأعداء المعارضين في مناهضة الدعوة ، ودليلاً للدعاة في طريقة التصدي لها بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر والثبات .وفي خلاصة القول : فإن دراسة أقوال المشركين عن طريق القرآن الكريم ليست مجرد استعراض تاريخي، بل هي مسار لإدراك جوهر الصراع بين
الإيمان والكفر ،ودليل على أن سنة الابتلاء والمواجهة ماضية في درب الدعاة ، كما أنها دعوة للتفكير العميق في كتاب الله ،واستخلاص مفاهيم المواجهة من المنهج النبوي ، حتى تستمر الدعوة على مبادئ ثابتة ومتينة ،وعقيدة صافية ، وقلب مرتبط بالله ، لا تغيره الأختلافات والشكوك ، ولا تزعزعه الأقوال المغرضة .

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 758-796

فقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى برحمته ولطفه وتيسيره ، فتمت الكتابة في بحثي "أقوال المشركين في مناهضة الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن" وعشت مع
كتابة البحث رحلة شاقة ، احتسب أجرها عند العليم الخبير ،ويطيب لي أن أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها .

النتائج والتوصيات :

وقد توصلت من خلال بحثي في " أقوال المشركين في مناهضة الدعوة الاسلامية في ضوء القرآن" إلى عدة نتائج أجملها فيما يلي :

1-تعدد أساليب المشركين في مواجهة الدعوة : أظهرت حصيلة الدراسة أن المشركين اعتمدوا طرقاً متعددة ومنهجيات متنوعة في مقاومة الدعوة
ومجابهتها ، مما يعكس وعيهم بخطورة تأثيرها وانتشارها ، شملت الافتراء والكذب ،والسخرية ، والتشكيك في النبوة ، والطعن في القرآن ، والترهيب
والترغيب ، بهدف إضعاف أثر الدعوة وإبعاد الناس عنها .

2-التكرار التاريخي للشبهات : بيّن القرآن الكريم أن ما قاله مشركو قريش من شبهات ومزاعم هو امتداد لأقوال الأمم السابقة ، مما يدل على وحدة
الموقف الكفري في مواجهة الحق على مر العصور .

3-منهج القرآن في الرد : تميز القرآن الكريم في الرد على أقوال المشركين بالمنهجية الربانية القائمة على العقل ،والموعظة ،وضرب الأمثال ، وبيان
الحقائق التاريخية ، دون الوقوف في الانفعال أو الانحدار إلى مستوى الاتهامات .

4-البعد النفسي والاجتماعي في أقوال المشركين : لم تكن أقوالهم قائمة على الحجة والبرهان ، بل كانت غالباً تعبيراً عن مصالح دنيوية مهددة ، وخوف
من زوال الهيمنة ، ورفض للتغيير الذي تحمله الدعوة .

5-خلود المنهج القرآني : لا تزال تلك الأقوال تتكرر اليوم بطرق وأساليب حديثة ، مما يعزز من أهمية فهم الردود القرآنية كأساس لمجابهة الطعنات
المعاصرة التي تواجه الدعوة والدعاة .

6-أوصي بالعناية بدراسة الشبهات القرآنية ،واستخلاص الردود المنهجية المناسبة لها .

7-يجب علينا إحياء منهج النبي (صلى الله عليه وسلم) في الدعوة ، بالاقتداء بأخلاقه ، وثباته وصبره وحكمته في التعامل مع أقوال المشركين ، وتجنب الأساليب المنفرة التي لا تتماشى مع روح الإسلام .

8-تأهيل الدعاة لفهم السنن القرآنية في المواجهة : لا بد من إعداد الدعاة فكرياً ونفسياً ، لتقبل سنة الابتلاء والمواجهة،من خلال ربطهم بالقرآن وتزويدهم
بالردود العقلية والشرعية على الشبهات .

Conclusion:

After this detailed presentation of the polytheists' statements opposing the call to monotheism, in light of what the Holy Quran has revealed,the greatness of this book becomes clear in documenting that important stage in the struggle between truth and falsehood . Between the call to monotheism and polytheism, the Qur'an's superior ability to analyze situations and statements and respond to them with a divine approach based on argument, explanation and justice, not on violence or exclusion, is also highlighted.

The study revealed that the polytheists' statements in the face of the call were not merely the result of ignorance, but rather of stubbornness, arrogance, and a desire to preserve their interests and social and economic influence. Indeed, most of them were characterized by political maneuvering, deliberate slander, and hateful and despicable malice , As in their saying about the Prophet (peace and blessings be upon him) that he was a “magician,” a “soothsayer,” a “poet,” and other descriptions that aimed to distort the image of the call and undermine the credibility of its bearers, despite many of them realizing deep down the truth of his call and the validity of what he brought.

The Holy Quran has addressed these statements in many ways,including the logical and rational response that reveals the naivety and weakness of their arguments, and reminding of the fate and consequences of previous nations who rejected the messengers, and drawing conclusions from the signs of the self, the universe and history, which indicates the generality and comprehensiveness of the Quranic approach in dealing with their doubts and falsehoods.

One of the things that must be noted is that the statements of the polytheists that appeared in the Holy Quran were not specific to the time of the Prophet (peace and blessings be upon him), but rather much of their content and concepts have continued to be repeated in different forms and shapes in every time and place, which makes the Holy Quran a reliable and timeless source ,In explaining the methods of the opposing enemies in opposing the call,and as a guide for the callers on how to confront them with wisdom, good advice, patience and steadfastness.

In conclusion, studying the statements of the polytheists through the Holy Quran is not merely a historical overview, but rather a path to understanding the essence of the conflict between faith and disbelief . It is evidence that the principle of trial and confrontation continues to guide those who call to Islam, and it is also an invitation to deep reflection on the Book of God and to extract concepts of confrontation from the Prophetic methodology,So that the call may continue on firm and solid principles,a pure creed, and a heart connected to God, which is not changed by differences and doubts, nor shaken by biased statements.

By the grace and mercy of God Almighty, my research, "The Statements of the Polytheists in Opposing the Islamic Call in Light of the Qur'an," was completed. The writing of this research was a challenging journey , the reward for which I seek from the All-Knowing, the All-Wise. I am pleased to record the most important findings I reached.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

الإتقان في علوم القرآن،لعبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1 : (1394هـ-1974م).

أحكام القرآن،لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا،ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،ط3 : (1424هـ-2003م).

أسباب نزول القرآن،لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)،تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ،ن: دار الإصلاح – الدمام ،ط2 : (1412هـ-1992م)

أصول الدعوة ،لعبدالكريم زيدان،ن : مؤسسة الرسالة ،ط9 : (1421هـ-2001م).

الأعلام،لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)،ن: دار العلم للملايين ،ط15 : (2002م).

الأغاني،لأبي فرج الأصبهاني،دار الفكر -بيروت،ط:2(1412هـ-1993م)،تحقيق : سمير جابر.

تاج العروس من جواهر القاموس،لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: 1205هـ)،تحقيق: مجموعة من المحققين،ن: دار الهداية.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،ن: دار الكتاب العربي.لبنان -بيروت،ط1:(1407هـ-1987م).

تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) ، ن : دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1 : (1407هـ)

تاريخ العرب العام ،لويس سيديو،ن :دار العالم العربي-القاهرة،مصر ،ط 1 : (1431هـ-2010م).

تفسير القرآن العظيم،لابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،ن:دار طيبة للنشر والتوزيع،ط2 : (1420هـ-1999م).

تفسير المنار ، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: 1354هـ) ، ن : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 : (1990 م).

جامع البيان في تأويل القرآن،لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر،ن: مؤسسة الرسالة،ط1 : (1420هـ-2000م).

جوامع السير لأبي محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم الأندلسي،(ت:456هـ)،ن :دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان،(1424هـ-2003م)

دلائل النبوة،لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: 430هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس،ن: دار النفائس، بيروت ،ط2 : (1406هـ-1986م).

الرحيق المختوم،لصفي الرحمن المباركفوري (ت: 1427هـ)،ن: دار الهلال – بيروت،ط1 .

ركائز الإيمان ،لمحمد قطب، حققه وخرج أحاديثه ونسقه : علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة ،ط1 : (1430هـ-2009م).

زاد المسير في علم التفسير،لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)،تحقيق : عبد الرزاق المهدي ،ن : دار الكتاب العربي – بيروت ،ط1 : (1422هـ).

سير أعلام النبلاء،لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) ،ن: دار الحديث- القاهرة ،ط1 : (1427هـ-2006م).

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 758-796

السيرة النبوية ،لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ،(ت:235هـ)،ن : دار الكتب العلمية - بيروت ،لبنان ،ط1 : (1419هـ-1999م).
السيرة النبوية دروس وعبر،لعلي محمد محمد الصلابي ،ن : القهرة -مصر،(1421هـ-2000م).
السيرة النبوية الصحيحة،لأكرم ضياء العمري،ن: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط6 : (1415هـ-1994م).
السيرة النبوية ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي،ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،ط2 : (1375هـ-1955م).
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: 393هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ن: دار العلم للملايين– بيروت ،ط4 : (1407هـ-1987م).
صحيح البخاري ،لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،ن : دار طوق النجاة ،ط1 : (1422هـ).
الفصول في السيرة،لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي(ت: 774هـ)،تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي،محيي الدين،ن : مؤسسة علوم القرآن ،ط3 : (1403هـ).
في ظلال القران ،لابراهيم الشاذلي ، المعروف بسيد قطب،ن : دار الشرق ،ط1 : (1972م).
القاموس الفقهي لغة واصطلاحا /لسعدي أبو جيب،ن: دار الفكر. دمشق – سورية ،ط2 : (1408هـ-1988م).
كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم،لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد 1158هـ)،تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج،ن: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ،ط1 : (1996م).
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،لابي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، ن: دار الكتاب العربي – بيروت ،ط3 : (1407 هـ).
لسان العرب،لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)،ن : دار صادر -بيروت، ط3 : (1414هـ).
لطائف الإشارات ،لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)،تحقيق: إبراهيم البسيوني،ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب– مصر ،ط3.
مدخل لفهم السيرة ،ليحيي بن إبراهيم اليحيي.
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،ن: دار الكتب العلمية–لبنان ،ط1 : (1413هـ-1993م).
معالم التنزيل في تفسير القرآن،لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: 510هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش،ن: دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط4 : (1417هـ -1997م).
مفاتيح الغيب،لابي عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ) ، ن : دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط3 : (1420هـ)
المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام،لجواد علي (ت: 1408هـ)،ن: دار الساقي ،ط4 : (1422هـ-2001م).
مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ن : دار الفكر ،عام النشر : (1399هـ-1979م).

مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأحمد إبراهيم الشريف،ن: دار الفكر العربي.
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك،لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا،ن: دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 : (1412هـ-1992م).
منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام،لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، ن : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية،ط1 : (1424هـ-2004م).
نظرات في السيرة ،لحسن البنا،ن:دار بوسلامة للطباعة والنشر،ط1 : (1399هـ-1979م)،تونس .
نهاية الارب في معرفة أحوال العرب،لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي،(ت:821هـ)،تحقيق : محمد عبدالسلام هارون،ن : دار الكتب المصرية ،القاهرة ، ط1 : (1379هـ-1959م).
الواضح في علوم القرآن،لمصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو،ن: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق ،ط2 : (1418هـ-1998م).
الوافي بالوفيات ،لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي(ت: 764هـ)،تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،ن: دار إحياء التراث – بيروت،ط1 : (1420 هـ-2000م).

Sources and References:

The Holy Quran.
Al-Itqan fi Ulum al-Quran (Mastery of Quranic Sciences), by Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti (d. 911 AH) , edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim , published by the Egyptian General Book Organization, 1st edition: (1394 AH - 1974 CE).
The Rulings of the Qur'an, by Muhammad ibn Abdullah Abu Bakr ibn al-Arabi al-Ma'afiri al-Ishbili al-Maliki (d. 543 AH), its sources reviewed, its hadiths authenticated, and annotated by Muhammad Abd al-Qadir Atta, published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 3rd edition (1424 AH/2003 CE).
The Reasons for the Revelation of the Qur'an,by Abu al-Hasan Ali ibn Ahmad ibn Muhammad ibn Ali al-Wahidi al-Nisaburi al-Shafi'i (d. 468 AH) , edited by Issam ibn Abd al-Muhsin al-Humaidan , published by Dar al-Islah, Dammam, 2nd edition (1412 AH/1992 CE).
The Principles of Da'wah,by Abdulkarim Zaidan,published by Al-Risalah Foundation,9th edition(1421 AH-2001CE).
The Notables, by Khayr al-Din ibn Mahmud ibn Muhammad ibn Ali ibn Faris al-Zarkali al-Dimashqi (d. 1396 AH), published by Dar al-'Ilm lil-Malayin, 15th edition (2002 CE).
Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, by Muhammad ibn Muhammad ibn 'Abd al-Razzaq al-Husayni , Abu al-Fayd, known as Murtada al-Zabidi (d.1205 AH),edited by a group of scholars, published by Dar al-Hidayah.

Tarikh al- Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-A'lam , by Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn 'Uthman al-Dhahabi, published by Dar al-Kitab al-'Arabi, Beirut, Lebanon, 1st edition (1407 AH/1987 CE).
The History of Prophets and Kings, by Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amili , Abu Ja'far al-Tabari (d. 310 AH), published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, 1st edition (1407 AH).
Definitions,by Ali ibn Muhammad ibn Ali al-Zayn al-Sharif al-Jurjani(d. 816 AH),edited and corrected by a group of scholars under the supervision of the publisher,published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyya ,Beirut,Lebanon,1st edition (1403 AH-1983 CE).
Tafsir al-Qur'an al-'Azim (The Great Commentary on the Qur'an) , by Abu al-Fida' Isma'il ibn 'Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri al-Dimashqi (d.774 AH) , edited by Sami ibn Muhammad Salamah , published by Dar Tayyiba for Publishing and Distribution, 2nd edition (1420 AH/1999 CE).
Tafsir al-Manar (The Commentary on the Lighthouse), by Muhammad Rashid ibn 'Ali Rida ibn Muhammad Shams al-Din ibn Muhammad Baha' al-Din ibn Mulla 'Ali Khalifa al-Qalamuni al-Husseini (d. 1354 AH)published by the Egyptian General Book Organization, 1st edition (1990 CE).
Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, by Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir ibn Ghalib al-Amili , Abu Ja'far al-Tabari (d. 310 AH), edited by Ahmad Muhammad Shakir, published by Mu'assasat al-Risalah, 1st edition: (1420 AH - 2000 CE).
Dala'il al-Nubuwwah , 'Abd Allah Musa ibn Mihran Dr. Muhammad Rawwas Qal'ahji and 'Abd al-Barr 'Abbas,published by Dar al-Nafa'is, Beirut, 2nd edition: (1406 AH - 1986 CE).
The Sealed Nectar, by Safi-ur-Rahman al-Mubarakpuri (d. 1427 AH) , published by Dar al-Hilal, Beirut , 1st edition.
The Pillars of Faith, by Muhammad Qutb , edited , hadith authenticated,and arranged by Ali ibn Nayef al-Shahoud, researcher in Qur'an and Sunnah, 1st edition (1430 AH/2009 CE).
Provisions for the Journey in the Science of Exegesis,by Jamal ad -Din Abu al-Faraj Abd ar-Rahman ibn Ali ibn Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), edited by Abd ar-Razzaq al-Mahdi, published by Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1st edition (1422 AH).
Sunan al-Tirmidhi, by Muhammad ibn Isa ibn Sawrah ibn Musa ibn al-Dahhak al-Tirmidhi (d. 279 AH) , edited by Bashar Awad Maarouf, published by Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1st edition (1998 CE).

Siyar A'lam al-Nubala', by Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz al-Dhahabi (d. 748 AH), published by Dar al-Hadith, Cairo, 1st edition (1427 AH/2006 CE).
Al-Sirah al-Nabawiyyah al-Sahihah,by Akram Diya'al-Umari,published by Maktabat al-Ulum wa al-Hikam,Medina,6th edition (1415 AH/1994 CE).
The Biography of the Prophet , by Abd al-Malik ibn Hisham ibn Ayyub al-Himyari al-Ma'afiri, Abu Muhammad ,Jamal al-Din (d. 213 AH), edited by: Mustafa al-Saqqa, Ibrahim al-Abyari and Abd al-Hafiz al-Shalabi, published by : Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Printing Company and Sons in Egypt, 2nd edition: (1375 AH - 1955 AD).
Al-Sahah Taj al-Lughah wa Sahah al-Arabiyyah, by Abu Nasr Ismail ibn Hammad al-Jawhari al-Farabi (d. 393 AH), edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, published by Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut, 4th edition (1407 AH/1987 CE).
Sahih al-Bukhari, by Muhammad ibn Ismail ibn Ibrahim ibn al-Mughirah al-Bukhari , edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, published by Dar Tawq al-Najat, 1st edition (1422 AH).
Chapters on the Biography, by Abu al-Fida' Isma'il ibn 'Umar ibn Kathir al-Qurashi al-Basri , then al-Dimashqi (d.774 AH), edited and annotated by Muhammad al-'Eid al-Khatrawi , Muhyi al-Din . Published by : Qur'anic Sciences Foundation , 3rd edition: (1403 AH).
In the Shade of the Qur'an,by Ibrahim al-Shadhili, known as Sayyid Qutb.Published by : Dar al-Sharq , 1st edition: (1972 CE).
The Jurisprudential Dictionary: Language and Terminology, by Sa'di Abu Jayb. Published by: Dar al-Fikr , Damascus , Syria , 2nd edition: (1408 AH - 1988 CE).
A Dictionary of Technical Terms in the Arts and Sciences , by Muhammad ibn Ali ibn al-Qadi Muhammad Hamid ibn Muhammad Sabir al-Faruqi al-Hanafi al-Tahanawi (d. after 1158 AH), presented, supervised, and reviewed by Dr . Rafiq al-Ajam, edited by Dr. Ali Dahrouj, published by: Maktabat Lubnan Nashirun – Beirut, 1st edition: (1996 CE) .
A Dictionary of the Truths of Revelation and the Essence of Sayings on the Aspects of Interpretation , by Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr ibn Ahmad al-Zamakhshari Jar Allah (d. 538 AH), published by:Dar al-Kitab al-Arabi – Beirut, 3rdedition: (1407 AH).
Lisan al-Arab, by Muhammad ibn Mukarram ibn Ali, Abu al-Fadl , Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwayfi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), published by Dar Sader, Beirut, 3rd edition (1414 AH).

Lata'if al-Isharat , by Abd al-Karim ibn Hawazin ibn Abd al-Malik al-Qushayri (d.465AH) ,edited by Ibrahim al-Basyouni , published by the Egyptian General Book Organization, Egypt, 3rd edition.
The Concise Commentary on the Noble Book, by Abu Muhammad Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn Atiyya al-Andalusi , edited by Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Lebanon, 1st edition (1413 AH/1993 CE).
The Landmarks of Revelation in the Interpretation of the Qur'an , by Abu Muhammad al-Husayn ibn Mas'ud al-Baghawi (d. 510 AH) , edited and its hadiths authenticated by Muhammad Abd Allah al-Nimr , Uthman Juma'a Damiriyya , and Sulayman Muslim al-Harsh, published by Dar Tayyiba for Publishing and Distribution , 4th edition (1417 AH/1997 CE).
Keys to the Unseen, by Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn al-Taymi al-Razi ,known as Fakhr al-Din al-Razi, the preacher of Rayy (d. 606 AH), published by Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 3rd edition (1420 AH).
The Detailed History of the Arabs Before Islam , by Jawad Ali (d. 1408 AH) , published by Dar al-Saqi , 4th edition (1422 AH/2001 CE).
The Standards of Language, by Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. 395 AH) , edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, published by Dar al-Fikr, 1399 AH/1979 CE.
The Regular in the History of Nations and Kings ,by Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), edited by Muhammad Abd al-Qadir Atta and Mustafa Abd al-Qadir Atta , published by Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1st edition, 1412 AH/1992 CE.
The Methodology of the Holy Qur’an in Inviting Polytheists to Islam, by Hamoud bin Ahmed bin Faraj Al-Rahili, published by: Deanship of Scientific Research at the Islamic University , Madinah , Kingdom of Saudi Arabia , 1st Edition : (1424 AH - 2004 AD).
Al-Wadih fi Ulum al-Qur'an (The Clear Explanation of Qur'anic Sciences) , by Mustafa Dib al-Bugha and Muhyi al-Din Dib Mustu,published by Dar al-Kalim al-Tayyib/Dar al-Ulum al-Insaniyya, Damascus,2nd edition(1418AH/1998 CE).
Al-Wafi bi'l-Wafayat (The Complete Book of Deaths), by Salah al-Din Khalil ibn Aybak ibn Abdullah al-Safadi (d. 764 AH), edited by Ahmad al-Arna'ut and Turki Mustafa, published by Dar Ihya' al-Turath, Beirut, 1st edition (1420 AH/2000 CE).

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 758-796

The polytheists' statements opposing the Islamic call in light of the Holy Qur'an

Inst. Prof. Zain Al-Abidin Abdel Hamid Ismail
Al-Mustansiriya University / College of Arts /
Department of Arabic Language

Abstract :

The polytheists countered the Prophet's (peace and blessings be upon him) call with various techniques aimed at turning people away from the path of God and distorting the truth of the Islamic religion .Among the means they resorted to were: mockery to ridicule, attacking the person of the Messenger (peace and blessings be upon him), and attaching various accusations to him in order to turn people away from his call and weaken the resolve of the believers in him. They accused him of madness at times , and of sorcery at others , and some of them claimed that he was a poet who fabricated what he said. However, they soon found themselves impressed by the strength of his eloquence , unable to oppose him, their hearts trembling at the truth of his words even though they denied it with their tongues. At the beginning of the call, the leaders of Quraysh did not pay much attention to it, as they did not yet realize the extent of the threat it posed to their interests. But when the Quran came to expose the falsehood of their beliefs and reveal the corruption of their veneration of stones and their taking them as gods that neither benefit nor harm , the idea ofcompromise occurred to them, and their attempts began to go through several stages, which are:

1- The stage of relentless efforts to extinguish the call in its infancy : From the very beginning, the Quraysh tried to extinguish the light of the call and prevent it from spreading in their society . They attempted to stop it at its root before its principles could take hold in people's hearts. They approached the Prophet (peace and blessings be upon him), offering him wealth, prestige, and power, hoping he would abandon his message and follow their desires.

2- The stage of mutual appeasement and seeking coexistence without conflict : After the failure of the Quraysh's attempts to stop the call to Islam by force and enticement, they resorted to a less confrontational approach, proposing mutual appeasement. This meant that each side would refrain from criticizing the other's beliefs and allow each other to pursue their affairs and interests without interference. Their aim was to secure concessions that would preserve their interests and allow them to continue living a stable social life without direct confrontation with the call to Islam.

3- The stage of negotiating conditions: After the failure of direct attempts to stop the call, the Quraysh resorted to a more cunning method, which was negotiating conditions, trying to impose restrictions that would guarantee the continuation of their influence and status amidst the spread of the call. They wanted the call to be established , but within limits that they defined, so that the wealthy and powerful would retain clear privileges that distinguished them from the general public.

Keywords: Opposition, negotiation, lying, slander, divination, opposition.